رجـال ونســاء
فـى القــرآن والســنـة

تأليف

أحمد محمود الحليس

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

الناشر: العلم والإيمان للنشر والتوزيع

ميدان المحطة - ش الشركات - دسوق - كفر الشيخ
☎ : ٠٤٧/٥٦٠٢٨١ & ٠٤٧/٥٥٠٣٤١

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/١٠٥٤٢

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-308-042-0

جمع وإخراج: شيماء ربيع فؤاد

٢٠٠٥/٢٠٠٤

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم آيات الذكر الحكيم لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من سار علي طريق الهدى والفلاح فبلغ الرسالة وأدّ الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وتركنا علي المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

فجزاه الله عنا وعن أمة الإسلام خير ما جازى نبياً عن أمته.

وبعد،،

إن الباحث في القرآن الكريم ليجد أنه مترع بنماذج من الرجال والنساء الذين أسّروا في الحياة البشرية وأصبحوا نماذج يقتدى بهم عبر العصور التاريخية المتلاحقة.

وضرب لنا كذلك نماذج يجب أن نحذر طريقها، وكذلك السنة النبوية الشريفة تذخر بالعديد من هذه النماذج.

ونحن نقدم للقارئ الكريم هذه النماذج من أجل الاقتداء بها والسير علي طريق الأخيار منهم والابتعاد عن طريق الأشرار .. وإن صادفنا توفيق فمن الله عز وجل وإن وقع منا تقصير فمن أنفسنا وندعو الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

تأليف الشيخ
أحمد محمود العليس



داعي السماء

بلال بن رباح ﷺ

قال عنه واصفوه أنه رضي الله عنه كان شديد السُمرة نحيف الجسد مُفرط الطول كث الشعر أي (غزير الشعر) خفيف العارضين.

وكان عبداً حبشياً مملوكاً لرأس الكفر أمية بن خلف سمع بلال بعض أشراف قريش يقول لبعض ما كان محمد يوماً كاذباً ولا ساحراً ولا مجنوناً وإن لم يكن لنا يد من وصمه اليوم بذلك كله حتى يصُد عنه الذين سيسارعون إلي دينه. فأسرع إلي مكان رسول الله ﷺ وكان من أوائل السابقين إلي الإسلام ولا يلبث خبر إسلامه أن يذيع وتدور الأرض بروس أسياده تلك للروؤس التي نفخها الكبر وأثقلها الغرور ولما علم سيده بهذا الخبر الذي نزل عليه كالصاعقة فقال في نفسه لا بئس لم تغرب شمس ذلك اليوم إلا ويذهب معها إسلام هذا، العبد الأبق ولكن الشمس لم تغرب بإسلام بلال بل غربت ذات يوم بأصنام قريش كلها وحُماة الوثنية فيها أما بلال فكان له موقفاً آخر ليس شرفاً للإسلام وحده وإن كان الإسلام أحق به ولكنه شرف للإنسانية جميعاً ولقد عُذب في سبيل دينه وإيمانه وتحمل ما لم يتحمله بشر حتى صار مضرب الأمثال وتحد بإيمانه وتقواه ورسوخ عقيدته أعاصير وأهوال العذاب الذي وقع عليه وكان شعاره الذي يردده دائما أحد أحد. حتى جعل سيدة أمية بن خلف وقد انفجر غيظاً وحقداً علي بلال قائلاً وهو يلكذه بكل يديه ويقول: أي شوم رمانا بك يا عبد السوء وكان الطاغية أمية إذا ملّ من تعذيبه طوق عنقه بحبل غليظ وأسلمه إلي السفهاء والولدان وأمرهم أن يطوفوا به في شعاب مكة وأن يجروه في

أبطحها ولكنه رضي الله عنه كان يستعذب العذاب في سبيل عقيدته حتى أصبح مثلاً في فن التضحية والبلاء.(١)

مناقبه

كان رضي الله عنه من أوائل السابقين إلي الإسلام وعُذبَ كثيراً لأجل إسلامه وكان سيده أمية بن خلف يعذبه ببطحاء مكة وقت الحر ويضربه بالسياط وهو يقول: أحدٌ أحدٌ وكان الرسول ﷺ يقول: صبر. وضرب رضي الله عنه أروع الأمثلة في الإيمان الصادق والثبات علي الحق وعلي العقيدة الصحيحة وتحدى المشركون وأعلن إسلامه دون خوف ولما بلغ به العذاب مبلغه.(٢)

فأشفق عليه أبي بكر الصديق رضي الله عنه فاشتراه ليريحه من التعذيب واعتقه لله ولذلك كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول، بتواضع جم: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يا لعظمة الإسلام وآدابه الرفيعة الذي علم الصحابة التواضع والاحترام ولم يكن بلال يسمع كلمات المدح والثناء توجه إليه وتغدق عليه ألا ويحني رأسه ويغض طرفه ويقول وعبراته علي وجنتيه تسيل إنما أنا حَبَشي كُنتَ بالأمس عَبْداً.(٣)

وسيدنا بلال هو مؤذن الرسول ﷺ إنه مؤذن الإسلام ومزعج الأصنام إنه إحدى معجزات الإسلام العظيم. فمن كل عشرة مسلمين منذ بدأ الإسلام إلي اليوم وإلي ما شاء الله ستلتقي بسبعة علي الأقل يعرفون بلالاً أي هناك مئات الملايين من البشر عبر القرون يعرفون بلالاً وحفظوا اسمه وعرفوا دوره تماماً.

١- الرياض النضرة /٣٢٥ بتصريف يسير
٢- الرياض النضرة /٣٢٥ بتصريف يسير
٣- صفة الصفوة ص ١١٥.

كما عرفوا أعظم خليفتين في الإسلام أبي بكر وعمر بن الخطاب وإنك لتسأل الطفل الذي يزال يحبو في سنواته الدراسية الأولى في مصر أو باكستان أو الهند أو الصين أو في الأمر يكتين وأوربا وروسيا وفي العراق وسوريا وتركيا والسودان في تونس والجزائر والمغرب وفي أعماق إفريقيا وفوق هضاب آسيا في كل بقعة من الأرض يقطنها مسلمون تستطيع أن تسأل أي طفل مسلم من بلال يا غلام؟ فيجيبك أنه مؤذن الرسول ﷺ وأنه العبد الذي كان سيده يعذبه بالحجارة المستعرة ليرده عن دينه فيقول أحد أحد.(١)

وسيدنا بلال رضي الله عنه هو الذي نزل فيه قول الحق تعالى:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۚ ﴿٥٢﴾ ﴾

جهاده

شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله وبعد أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى راضياً مرضياً ونهض بأمر المسلمين من بعده خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه.(٢)

ذهب بلال إلى خليفة رسول الله يقول له يا خليفة رسول الله إني سمعت رسول الله يقول أفضلُ عملِ المؤمن الجهاد في سبيل الله. فقال له أبو بكر: فما تشاء يا بلال قال أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت. قال له أبو بكر: ومن يؤذن لنا؟ قال بلال وعيناه تفيضان من الدمع إني لا أذنُ لأحد بعد رسول الله قال أبو بكر بل ابقي وأذن لنا يا بلال فرد بلال قائلاً إن كنت أعتقتني لأكون لك فليكن ما تريد وإن كنت أعتقتني لله فدعني وما أعتقتني له، فقال أبو بكر: بل أعتقتك لله يا بلال.

١- الرياض النضرة ص ٣١٠ .
٢- صفة الصفوة ص ١١٠ .

ويختلف الرواة فيروي بعضهم أنه سافر إلي الشام حيث بقي بها مجاهداً. ويروي البعض الأخر انه قبل رجاء أبي بكر في أن يبقي معه بالمدينة فلما قبض وولي الخلافة عمر وخرج إلي الشام . علي أية حال فقد نذر بلال بقية حياته وعمره للمرابطة في ثغور الإسلام مصمماً علي أن يلقي الله ورسوله وهو علي خير عمل يحبه.

وكان آخر أذان له يوم أن زار الشام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وتوسل المسلمون إليه أن يحمل بلال علي أن يؤذن لهم صلاة واحدة ودعا أمير المؤمنين بلالاً وقد حان وقت الصلاة ورجاه أن يؤذن لها وصعد بلال وأذن فبكي الصحابة الذين أدركوا رسول الله ﷺ وبلال يؤذن بكوا كما لم يبكوا من قبل أبدا، وكان عمر أشدهم بكاءً. (١)

بشارته بالجنة

في رحلة الإسراء والمعراج لما صعد النبي ﷺ إلي السماوات العُلا في رحلة المعراج سمع صوت نعل بلال في الجنة وبشره الرسول بذلك.

قائلاً ﷺ يا بلال حدثني بأرجي عمل عملته عندك في الإسلام منفعة فإني سمعت الليلة دُفّ (أي صوت) نعليك بين يدي في الجنة فقال: ما عملت عملاً في الإسلام أرجي عندي منفعة من أن أتطهر طهوراً تاماً. أي أتوضأ في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي.

١- حياة الصحابة ج٢ ص ٤١٥ .

فعلم ﷺ أنه بلّغ ما بلّغ بفعله هذا ولذلك سُن صلاة ركعتين سنة الوضوء. وقال أيضا ﷺ : رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا فقال هذا بلال. [1]

وفاته رضي الله عنه

توفي رضي الله عنه بالشام في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة من الهجرة النبوية الموافقة ٦٣٩ من الميلاد وكان خارجاً للجهاد في الشام في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب، وكان سنة بضع وستين عام وتحت ثري دمشق يثوي اليوم روفات رجل من أعظم رجال البشر[2] صلابة في الوقوف إلي جانب العقيدة والاقتناع. فرضي الله عنه إلي يوم يبعثون.[3]

١- حلية الأولياء لابن نعيم جـ٢ صفحة ١٦١ .

٢- مرجع سابق .

٣- البداية والنهاية لابن كثير جـ٦ صفحة ١١٣ .

جعفر بن أبي طالب

كان في بني عبد مناف خمسة رجال يشبهون رسول الله ﷺ أشد الشبه حتى أن ضعاف البصر كثيراً ما كانوا يخلطون بين النبي وبينهم ولا ريب أنك أيها القارئ الكريم تود أن تعرف هؤلاء الخمسة الذين يشبهون نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام فتعال نتعرف عليهم أنهم (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم الرسول ﷺ وأخوه في الرضاعة وقثم بن العباس بن عبد المطلب[1] والسائب بن عبيد بن عبد يزيد جد الإمام الشافعي والحسن بن عليّ سبط النبي ﷺ وجعفر بن أبي طالب وأخو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب) كان أبي طالب علي الرغم من سمو شرفه في قريش وعلو منزلته في قومه رقيق الحال كثير العيال وقد ازدادت حالته سوءاً علي سوء بسبب الجدب الذي وقع عليهم في عام من الأعوام ولم يكن هناك يومئذ أيسر حالاً في بني هاشم من محمد بن عبد الله وعمه العباس فقال محمد بن عبد الله: للعباس يا عم إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما تري من شدة القحط ومضض الجوع فانطلق بنا إليه حتى نحمل عنه بعض أبنائه فأخذنا فتي من بنيه وتأخذ أنت فتي آخر فنكفيهما عنه[2] فقال العباس: لقد دعوت إلي خير وحضضت على بر فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له إنا نريدُ أن نخفف عنك بعض ما تحملهُ من عبء عيالك حتى ينكشف هذا الضر الذي مسّ الناس فقال لهما إذا اتركما لي عقيلاً وصنعا ما شئتما فأخذا محمد علي وأخذا العباس جعفراً وجعله في عياله وظل جعفر مع عمه العباس حتى شب وأسلم واستغني وانضم جعفر إلي ركب النور هو وزوجته أسماءُ بنت عُميس.

١- مروج الذهب جـ٢ صفحة ٨٩.

٢- سير اعلام النبلاء للإمام الذهبي جـ٣ صفحة١٠٩.

فقد أسلما علي يدي الصديق رضي الله عنه قبل أن يدخل الرسول دار ألا رقم ولقي الفتي الهاشمي وزوجته الشابة من آذى قريش ونكالها ما لقيا عند ذلك أستأذن جعفرا رسول الله ﷺ بأن يهاجرا مع زوجته ونفر من الصحابة إلي الحبشة.

فأذن لهم وهو أسوان أي[1] (محزون) مضى ركب المهاجرين الأولين إلي أرض الحبشة وعاشوا في كنف النجاشي الملك الصالح العادل ولأول مرة ذاقوا طعم الأمان منذ أسلموا ولكن قريش لم يبت لها قرار حتى أرسلت من يوقع بينهم وبين ملك الحبشة وكاد أن ينجح هذا الوافد الذي تميز بالدهاء والذكاء انه عمرو بن العاص الذي كان يُعرف عنه ذكائه ودهائه.[2]

ولكن إيمان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حسم القضية حينما استدعا النجاشي المسلمين ليسألهم عن دينهم الذي من أجله فارقوا الأهل والأوطان فقام إليه جعفر خطيبا وبين له حقيقة هذا لدين الأمر الذي جعل الملك يبكي حتى إخضلت لحيته من بكائه ثم التفت إلي المسلمين وقال أذهبوا وأنتم آمنون من سبكم غرم ومن تعرض لكم عوقب ثم قال: والله ما أحب أن يكون لي جبل من ذهب وأن يُصاب أحد منكم بسوء.[3]

١- الإصابة جـ١ صفحة ٢٧٣.

٢- صفة الصفوة جـ١ صفحة ٢٠٥.

٣- حلية الأولياء صفحة ١١٤.

مناقبه رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من السابقين الأولين إلي الإسلام وهاجر الهجرتين الهجرة الأولى إلي الحبشة مع كوكبة من الصحابة رضوان الله عليهم فقضي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بجوار النجاشي عشر سنين أمناً مطمأناً هو وزوجته وكان المتحدث الرسمي باسم المسلمين.

وفي السنة السابعة من الهجرة ٦٢٨ ميلادية غادر الحبشة مع نفر من المسلمين متجهين إلي يثرب (المدينة المنورة) فلما بلغوها كان الرسول ﷺ عائداً لتوه من خيبر بعد أن فتحها الله له.

ففرح بلقاء جعفر فرحاً شديداً حتى قال يومها: ما أدري بأيهما أفرح أبفتح خيبر أم بقدوم جعفر ولم تكن فرحة المسلمين عامة والفقراء منهم خاصة.[١]

بعودة جعفر بأقل من فرحة الرسول صلوات الله وسلامه عليه. فقد كان جعفر شديد الحدب ومعني الحدب (شديد العطف والرعاية) علي الفقراء كثير البر بهم حتى أنه كان يُلقب بابي المساكين أخبر عنه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه فقال: كان خير الناس لنا معشر المساكين جعفر بن أبي طالب فقد كان يمضي بنا إلي بيته فيطعمنا ما يكون عنده حتى إذا نفد طعامه أخرج لنا العكة. (هي قربة صغيرة يوضع فيها السمن) التي يوضع فيها السمن وليس فيها شيء فنشقها ونلعق ما علق بداخلها فرضي الله عنه كان مثال المسلم الذي يعرف حق الله وحق إخوانه المسلمين.[٢]

١- طبقات بن سعد جـ٤ صفحة ٢٢.

٢- مرجع سابق.

بلائه وجهاده

منذ قدومه من الحبشة في العام السابع من الهجرة النبوية وهو يشارك في غزوات الرسول ﷺ حتى جاء الموعد وحان اللقاء ففي أوائل السنة الثامنة للهجرة ٦٢٩ ميلادية جهز الرسول جيشاً لمنازلة الروم في بلاد الشام وأمّر على الجيش زيد بن حارثة وقال إن قُتل زيد أو أصُيب فالأمير جعفر بن أبي طالب فإن قُتل جعفر أو أصيب فالأمير عبد الله بن رواحة فإن قُتل أو أصيب فليختر المسلمون لأنفسهم أميراً منهم فلما وصل المسلمون إلى مؤتة[1] وهي قرية واقعة على مشارف الشام في الأردن وجدوا أن الروم قد أعّدوا لهم مائة ألف تظاهرهم (أي تساندهم وتدعمهم) مائة ألف أخري من نصاري العرب من قبائل لخم وجذام وقضاعة وغيرهم أما جيش المسلمين فكان ثلاثة آلاف وما أن التقى الجمعان ودارت رحى المعركة حتى خرّ زيد صريعاً مقبلاً غير مدبر فما أسرع أن وثب جعفر بن أبي طالب عن ظهر فرس كانت له شقراء ثم عقرها (أي ضرب قوائمها بسيفه) حتى لا ينتفع بها الأعداء من بعده وحمل الراية وأوغل في صفوف الروم (معني أوغل أي دخل بعيداً) وهو ينشد:

يا حبّذ الجنّةُ وإقترابُها ... طيبةٌ وباردُ شرابُها
والرَوَمُ رومٌ قد دنا عذابُها ... كافِرةُ بعيدةُ أنسابُها
علىّ إذا لا قيتُها ضِرابُها[2]

١- معجم البلدان في مدة موته.
٢- تهذيب التهذيب جـ٢ صفحة ٩٨.

وظل يجول في صفوف الأعداء بسيفه ويصول حتى أصابته ضربة قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله فما لبث أن أصابته أخرى قطعت شماله فأخذ الراية بصدره وعضديه فما لبث أن أصابته ثالثة بترته شطرين (أي قسمته نصفين) فأخذ الراية منه عبد الله بن رواحة فما زال يقاتل حتى لحق بصاحبه.[1]

فبلغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه مصرع قواده الثلاثة فحزن عليهم أشد الحزن وأمضّه (أي أشد الحزن وأوجعه) وانطلق إلى بيت ابن عمه فألقى زوجته أسماء تتأهب لاستقبال زوجها الغائب فهي قد عجنت عجينها وغسلت بنيها وزينتهم وألبستهم أحسن ثيابهم قالت أسماء: لما أقبل علينا رسول الله ﷺ رأيت غلالة (معنى الغلالة هي الثوب الرقيق الشفاف) من الحزن توشح (أي تغطي) وجهه الكريم فسرت المخاوف في نفسي غير أني لم أشأ أن أسأله عن جعفر مخافة أن أسمع منه ما أكرهُ فحيا وقال ائتني بأولاد جعفر فدعوتهم له فهبو نحوه فرحين مزغردين وأخذو يتزاحمون عليه كل يريدُ أن يستأثر به فأكب عليهم وجعل يتشممهم وعيناه تذرفان من الدمع فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أي أفديك بأبي وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وصاحبه شيء قال نعم، لقد استشهدوا هذا اليوم عند ذلك غاضت البسمة من وجوه الصغار لما سمعوا أمهم تبكي وتنشج وجمدوا في أماكنهم كأنّ على رؤوسهم الطير.[2]

١- الكامل لابن الأثير جـ٢ صفحة ٩٦،٣٠

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر جـ٢ ص ١٩٩

بشارته بالجنة

لما علم الرسول ﷺ بموت جعفر حزن عليه أشد الحزن وبشَّره بأنه في الجنة فقال ﷺ رأيت جعفر ملكاً يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين.

وهكذا كانت البشري لأهل جعفر بأنه في الجنة ولذلك قال عبد الله بن جعفر قال لي رسول الله ﷺ هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء ولذلك كان عبد الله بن عمر يسلم علي عبد الله بن جعفر يقول له السلام عليك يا بن ذي الجناحين فصار لقب ذي الجناحين خاصاً بسيدنا جعفر رضي الله عنه.[1]

وقد روي كذلك عنه سيدي المرسلين قوله لقد رأيت جعفراً في الجنة له جناحان مضرجان بالدماء وهو مصبوغ القوادم.[2]

١- الدر في اختصار لمكاتري والسير لأبن عبد البر جـ صفحة ٢٢٢
٢- السيرة النبوية لأبن هشام جـ١ صفحة ٣٥٧ جـ ٣٠٣

عبد الله بن سلام ﷺ

هو عبد الله بن سلام بن الحارث من بني قينقاع وأصلهم من سلالة نبي الله يوسف عليه السلام وكان من أحبار اليهود (أي كبار علمائهم) وكان أبوه عالم اليهود وأفضلهم في المدينة[١] هذا هو نسبه.

أما عن إسلامه فلنترك للحصين الكلام ليسُوق لنا قصة إسلامه فهو لها أروي (أي أجودُ رواية) وعلى حسن عرضها أقدر قال الحصين بن سلام لما سمعت بظهور رسول الله ﷺ أخذتُ أتحرى عن اسمه ونسبه وصفاته وزمانه ومكانه وأطابق بينها وبينه ما هو مسطور (أي مكتوب) عندنا في الكتب حتى استيقنت من نبوته وتثبت من صدق دعوته ثم كتمت ذلك عن اليهود وعقلت لساني[٢] (أي ربطته ومنعته) عن التكلم فيه إلي أن كان اليوم الذي خرج فيه الرسول عليه السلام من مكة قاصداً المدينة فلما بلغ يثرب ونزل بقباء (قرية على بعد ميلين من المدينة) أقبل رجل علينا وجعل ينادي في الناس معلنا قدومه وكنت ساعتئذ في رأس نخلةٍ أعمل فيها وكانت عمتي خالدة بنت الحارث جالسة تحت الشجرة فما إن سمعت الخبر حتى هتفت الله أكبر الله أكبر فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري خيبك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما فعلت شيئاً فوق ذلك فقلت لها أي عمة (أي يا عمة) أنه والله أخو موسى بن عمران وعلي دينه وقد بُعث بما بُعث فسكتت وقالت أهو النبي الذي كنتم تخبروننا أنه يُبعث مصدقاً لمن قبله ومتمماً لرسالات ربه. فقلت نعم قالت فذلك إذن ثم مضيت من توي (أي فوراً من غير إبطاء) إلي رسول الله ﷺ فرأيت الناس يزدحمون ببابه فزاحمتهم حتى صرت قريباً منه.[٣]

١- الجرح والتعديل جـ٢ ق٢ صفحة ٦٣٠
٢- تاريخ الإسلام للذهبي جـ٢ صفحة ٢٣١،٢٣٠
٣- شزرات الذهب جـ١ ص ٥٣

فكـان أول كـلام سـمعته منـه قولـه "أيهـا الـناس أفشـوا السّـلام وأطعمـوا الطعـام وصـلوا بالليـل والـناس نـيام تدخلـوا الجـنة بسـلام فجعلـت أتفرس فيه وأتملي" (أي أملاء عيني منه).

فأيقنـت أن وجهـه لـيس بوجـه كـذاب ثـم دنـوت مـنه وشـهدتُ أن لا إلـه إلا الله وأن محمـداً رسـول الله فالتفـت إلـيَّ وقـال: مـا اسـمك فقلـت الحصـين بـن سـلام فقـال: بـل عـبد الله بـن سـلام فقلـت نعـم عـبدُ الله بـن سـلام والـذي بعـثك بـالحق مـا أحـب أن لـي بـه اسـماً آخـر بعـد الـيوم ثـم انصـرفت مـن عـند رسـول الله ﷺ إلـي بيتـي ودعـوت زوجتـي وأولادي وأهلـي إلـي الإسـلام فأسـلموا جمـيعاً وأسـلمت معهـم عمتـي خـالدة وكانـت شـيخة كبـيرة ثـم إنـي قلـت لهـم اكتموا إسلامي وإسلامكم عن اليهود حتى أذن لكم قالوا نعم.[١]

ثـم رجعت إلـي الرسـول وقلـت يـا رسـول الله إن يهـود قـوم بهُـت وبـاطل وإنـي أحـبُ أن تدعـو وجوههـم (أي رؤسـاءهم وسـادتهم) إلـيك وان تسـترني عـنهم فـي حجـرة مـن حجـراتك ثـم تسـألهم عـن منزلتـي عـندهم قـبل أن يعلمـوا بإسـلامي. ثـم تدعوهـم إلـي الإسـلام فـإنهم إن عملـوا أننـي أسـلمت عابونـي ورمونـي بكـل ناقصـة وبهتونـي (البهـتان افـتراء الكـذب) فأدخلنـي رسـول الله ﷺ.

فـي بعض حجـراته ثـم دعـاهم إلـيه وأخـذ يحُضـهم علـي الإسـلام ويحبـب إلـيهم الإيمـان ويذكّـرهم بمـا عـرفوه فـي كُتـبهم مـن أمـره فجعلـوا يجادلونـه بالـباطل ويمارونـه (أي يـنازعونه) فـي الحـق وأنـا أسـمع فلمـا يـئس مـن إيمـانهم قـال لهـم مـا مـنزلة الحصـين بـن سـلام فـيكم فقـالوا سـيدنا وابـن سـيدنا وحبرنـا وعالمنا وابن حبرنا وعالمنا فقال افرأيتم إن أسلم أفتسلمون.

١- تاريخ دمشق للابن عساكر جـ٧ صفحة ٤٤٣،٤٤٨

قالوا حاشا لله ما كان ليسلم أعاذه الله من أن يسلم فخرجت إليهم وقلت يا معشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به محمدٌ فو الله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله وتجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته وإني أشهد أنه لرسول الله.

وأومن به وأصدّقه وأعرفه فقالوا كذبت والله إنك لشرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا ولم يتركوا عيباً إلا عابوني به فقلت لرسول الله ﷺ ألم أقل لك إن اليهود قومٌ بهتان وباطل وإنهم أهل غدر وفجور .

أقبل عبد الله ابن سلام علي الإسلام إقبال الظامئ الذي شاقة المورد (لذة المورد وطاب) وأولع بالقران فكان لسانه لا يفتأ رطبا بآياته البينات وتعلق بالنبي ﷺ حتى كان ألزم له من ظله ونذر نفسه للعمل للجنة.[1]

بشارته الجنة

إن الناظر والدارس لحياة ابن سلام ليجد أن بشارته بالجنة ورد فيها كثير من الروايات وفي مجملها تؤكد هذا المعني المراد فقد روي سعد ابن أبي وقاص فيقول أتي النبي ﷺ بقصعة فأكل منها ففضلت فضلة (أي بقيت). فقال رسول الله ﷺ يجئ رجل من هذا الفج (أي الطريق) من أهل الجنة يأكل هذه الفضلة يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكنت تركت أخي ابن سلام فأكلها.[2]

ويقول سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لحي يمشي أنه في الجنة إلا لعبد الله بن سلام.

١- البداية والنهاية ابن كثير جـ٣ صفحة ٢١٢، ٢١١
٢- تاريخ خليفة بن خياط صفحة ٨

وهـذه بشـارة أخـرى لعبد الله بـن سـلام فقـد روي أن رسـول الله ﷺ بشّره بالجنة حتى ذاعت هذه البشارة بين الصحابة رضوان الله عليهم وكان لهذه البشارة قصة رواها قيس بن عُباده وغيره عن عبد الله بن سلام أنه قال بينما أنا نائم ذات ليلة على عهد رسول الله ﷺ أتاني رجل فقال لي قم فقمت فأخذ بيدي فإذ أنا بطريق عن شمالي فهممت أن أسلك فيها فقال لي دعها فإنها ليست لك فنظرت فإذا أنا بطريق واضحة عن يميني فقال لي أسلكها فسلكتها حتى أتيت روضة غناء واسعة ألا رجاء (الانحاء) كثيرة الخضرة رائعة النضرة وفي وسطها عمود من حديد أصله في الأرض ونهايته في السماء وفي أعلاه حلقة من ذهب فقال لي أرق عليه فقلت لا أستطيع فجاءني وصيف (أي خادم).

فرفعني فرقيت (أي فصعدت) حتى صرت في أعلى العمود وأخذت بالحلقة بيدي كلتهما وبقيت متعلقا بها حتى أصبحت.[1]

فلما كان الغد أتيت رسول الله ﷺ وقصصت عليه رؤياي فقال أما الطريقُ التي رأيتها عن شمالك فهي طريق أصحاب الشمال من أهل النار وأما الطريقُ التي رأيتها عن يمينك فهي طريق أصحاب اليمين من أهل الجنة.

وأما الروضة التي شاقتك بخضرتها ونضرتها فهي الإسلام وأما العمود الذي في وسطها فهو عمود الدين وأما الحلقة فهي العدوة والوثقى ولن تزال مستمسكاً بها حتى تموت فرضي الله عنه إلى يوم البعث العظيم.[2]

١- أسد الغابة جـ٤ صفحة ٨٠،٨١

٢- السيرة النبوية لأبن هشام جـ٢ صفحة ١٩٥

حارثة بن سراقة

من هذا الذي أصاب هذه المكانة العالية أنه حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي الأنصاري وكان أبوه من صحابة رسول الله ﷺ.

وأمه هي الربيعُ بنت النضر الصحابية الجليلة رضوان الله عليها وعمه أنس بن النضر الرجل الصادق الذي شم رائحة الجنة وهو حي يرزق.

وان عمه هو أبو حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه خادم الرسول ﷺ كان الفتي الشاب حادثة من العارفين بالله تعالي حق المعرفة ومن الموقنين حق اليقين انطلق الشاب حارقة بن سراقة رضي الله عنه يوماً فرأي النبي ﷺ يمشي فاستقبله فقال له النبي ﷺ كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمناً بالله حقاً قال انظر ماذا تقول فإن لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرتُ ليلي وأظمأت نهاري وكأني بعرش ربي عز وجل بارزاً وكأني أنظر إلي أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلي أهل النار يتعاورون فيها قال: عرفت فألزم عبد نور الله الإيمان في قلبه. فقال يا رسول أدع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله ﷺ.

فنودي يوماً في الخيل يا خيل الله اركبي. فكان أول فارس ركب وأول فارس أستشهد فِبلغ ذلك أمه فجاءت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن يكن في الجنة لم أبك ولم أحزن وإن يكن في النار بكيت ما عشت في دار الدنيا قال يا أم حارثة إنها ليست بجنة واحدة ولكنها جنان وإن حارثة في الفردوس الأعلى فرجعت أمه وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة.[1]

١- إسناده ضعيف فيه يوسف بني عطية الصفار كما في أسد الغابة جـ١ صفحة ٤٢٦،٤٢٢ ترجمه حارثة.

بشارته بالجنة

وكان استشهاد هذا البطل الشاب في غزوة بدر الكبرى كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلي رسول الله ﷺ.

فقال: ويحك أو جنة واحدة هي إنها جنات كثيرة وأنه في جنة الفردوس وفي رواية وإن ولدك في الفردوس الأعلى.[1]

وفي هذا تنبيه عظيم علي فضل هذا الصحابي رضي الله عنه وفضل أهل بدر ولكن من مفاجآت القدر أن حارثة لم يقاتل وإنما كان من النظارة من بعيد وبينما هو ينظر ويشاهد جاءه سهم غرب فكان في نهايته فنال به الفردوس الأعلى فما بال من قاتل ودخل ساحة القتال.

إننا أمام أم وبطل أما الأم فنجدها عندما جاءها خبر استشهاده لم تملأ الدنيا صياحاً وعويلاً وبكاءً ولم تطلب أن تراه أو تنظر إليه ولكنها أسرعت الخطا إلي رسول الله ﷺ تسابق الريح تسأله عن حال وحيدها وفلذة كبدها فلما أخبرت بأنه في الجنة وفي الفردوس الأعلى رجعت الأم وهي تضحك بملء فيها وتتعجب وتقول بخ بخ والذي جعلها تصنع وتفعل ذلك هو الإيمان.

وأما البطل فكان رغم حداثة سنة كان مؤمناً وعارفاً بالله وكان واعيا لكل ما قاله للرسول ﷺ ولذلك طمأنه الرسول وقال له عرفت فالزم وكأني به وهو واقف أمام الرسول يسأله ويتوسل إليه بكل جوارحه وأعماق قلبه أن يدعو له لا من أجل مال يناله أو جاه وسلطان يُحصله ولكن يطلب منه أن يدعو الله أن ينال الشهادة فدعا رسول الله ﷺ ومن لحظتها وأصبح الشاب حارثة ينتظر الشهادة وتتحقق فيه دعوة الرسول ﷺ وقد كان فنال ما تمنى فرضي الله عنه وعن أم ربته فأحسنت تربيته.

١- رواه البخاري كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا رقم (٣٩٨٢) ومن أراد المزيد فليرجع إلي طبقاته ابن سعد جـ٣ صفحة ٣٨٧ و٣٨٨ رقم ١٨٢ والمغازي وابن هشام جـ١ صفحة ٦٢٧ والبداية والنهاية جـ٥ صفحة ٣٢٩

الجندي المجهول أسلم الحبشي

في غزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة النبوية ٦٢٨ ميلادية برزت بطولات نادرة وظهرت فرسان النهار رهبان الليل إلي خيبر وانقضوا علي حصون اليهود فهاجموا حصن الناعم وكان هذا الحصن خط الدفاع الأول عند اليهود وانهارت فيه قوة اليهود بعد القتال المرير من المسلمين فانتقلوا إلي حصن الصعب بن معاذ فانقض المسلمون عليهم كالصاعقة وتم الفتح.

فأسرع اليهود إلي حصن آخر يسمي بحصن الزبير فهاجمهم المسلمون بكل بسالة وشجاعة فتم الفتح فأسرعوا إلي حصن النزار ففتحة الصحابة رضوان الله عليهم ثم دخل اليهود حصناً لهم منيعا يقال له القموص فحاصرهم رسول الله ﷺ قريبا من عشرين ليلة وكانت أرضاً وخمة شديدة الحر فجهد المسلمون جهداً شديداً فذبحوا الحُمر فنهاهم رسول الله ﷺ وعندئذ جاء عبد أسود حبشي من أهل خيبر كان في غنمه لسيده فلما رأي أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم ماذا تريدون قالوا نقاتل هذا الذي يزعم أنه نبي َفوقع في نفسه ذكر النبي ﷺ فأقبل بغنمه إلي رسول الله ﷺ.[1]

هيا بنا ننتبه إلي هذا القادم الذي سيكون له شأن عظيم عند خاتم الأنبياء ومالك الملك والملكوت ولكن إن هذا الأسود الذي كان قبل ذلك بلحظات عبداً رقيقاً لا يملك من نفسه شيء سيكون له مكانا في جنة عرضها السماوات والأرض بين الصديقين والشهداء والصالحين فبنا نقترب منه رويداً ونستمع إليه.

١- صور من حياة الصحابة د. عبد الرحمن رأفت الباشة ص ٤١٥

وهو يخاطب سيد ولد آدم قائلاً له: ماذا تقول وإلي ماذا تدعو إليه؟ قال أدعو إلي الإسلام وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن لا تعبد إلا الله. قال العبد فمالي إن شهدت وآمنت بالله عز وجل.[1]

فما جزائي وما نصيبي وما الثواب الذي ينتظرني إن أنا آمنت وأيقنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً. قال لك الجنة إن مت علي ذلك ولعمري هذه إجابة عظيمة غالية فلم يعده مالاً ولا جاهاً وسلطاناً ولا أي شيء من متاع الدنيا بل وعده أعظم من هذا كله وعده الجنة فيها ينعم وفيها يخلد فأسلم الرجل ثم قال يا نبي الله إن هذه الغنم عندي أمانة فقال له رسول الله ﷺ أخرجها من عندك وارمها بالحصباء[2] (هي صغار الحصا) فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ففعل فرجعت الغنم إلي سيدها ولم ينقص منها شيء إننا نتحرج ونستحي من أن نقول هذا العبد الأسود بل نقول هذا السيد الكريم لأنه لم يكن عبداً لشهواته وملاذه وإن كانت إرادته في يدي غيره وذاق مر العبودية علي أيدي البشر ولكن إن لهذا الجسد أن يستريح ولهذه النفس أن تنعم برضا الله عز وجل وتنعم بالجنة والفردوس الأعلى فقد كان رضي الله عنه أميناً فقال يا رسول الله إن هذه الغنم عندي أمانة فكيف أصنع بها قال أخرجها من عندك وارمها بالحصباء فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ومن العجيب أن الأغنام عادت إلي صاحبها ولم يتغيب منها شيء فلما رجعت الأغنام إلي سيدها فعلم اليهودي أن غلامه أسلم[3] فقام رسول ﷺ في الناس فوعظهم وحضهُم علي الجهاد فما التقي المسلمون واليهود قتل فمن قتل العبد الأسود فاحتمله المسلمون إلي معسكرهم فأدخل في الفسطاط (أي الخيمة) الذي فيه رسول الله ﷺ.

١- مرجع سابق بتصريف يسير
٢- الرواية الأولي ذكرها ابن كثير جـ٤ صفحة ١٩٠،١٩١ عن عدوة مرسلا وروي البيهقي عن شر جبل بن سعد نحو هذه القصة وشر جبل كان أختلط ومن طريقه أخرجه الحاكم جـ٢ صفحة ١٣٦ وصححه وتعقبه.
٣- الذهبي بقوله بل كان شر جبل متهما أنظر تخريج فقه السيرة.

فقال الحاضرون والمشاهدون لهذه الواقعة أن النبي ﷺ أطلع في الفسطاط ثم أقبل علي أصحابه وقال لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلي خير ولقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين.

وفي رواية أخرى أنه حيث حُمل إلي الخميه ووضع بجوار النبي ﷺ فنظر إليه النبي ثم ما لبث أن أعرض عنه مسرعا فقيل له يا رسول الله نظرت إليه ثم أعرضت عنه مسرعاً فقال إني رأيت معه زوجتيه من الحور العين فاستحيت أن أنظر إليه.(١)

وفي رواية ثالثة عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال أتي رسول الله ﷺ رجل فقال يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه منتن الريح لا مال لي فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة قال نعم فتقدم فقاتل حتى قتل فأتي عليه النبي ﷺ وهو مقتول.

فقال لقد أحسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك ثم قال لقد رأيت زوجتيه من الحور العين ينزعان جبته عنه يدخلان فيما بين جلده وجبته.(٢)

هذا الجندي المجهول العبد الأسود المقتول لا نجد له بطاقة عائلية ولا بطاقة شخصية فلقد ضن علماء السير والمغازي والمؤرخون علينا بالحديث عن هذا البطل الفذّ.

إلا أننا نعد له بطاقة إيمانية وأخلاقاً إسلامية فهو كما ترى أيها الأخ المسلم أمين حتى مع الأعداء حريص علي أداء الحقوق إلي أهلها وإن نجا من ذل العبودية للمخلوق متواضع وإن كان مجاهداً بطلاً.

صادقاً مع نفسه صادقاً مع ربه تعالي صادق مع خلق الله مرفيا ليت يكون لنا فيه أسوة وقدوة في هذه النماذج النورانية التي نود أن تحيها فيما بيننا.

١- الرواية الثانية وردة في أسد الغابة جـ١ صفحة ١٧٠ صفحة ٩٢،٩٣ رقم ١١٥ ترجمة أسلم الحبشي.

٢- الرواية الثالثة حماد عن ثابت عن أنس سندها صحيح انظر زاد المعاد في هدي خير العباد وابن القيم جـ ٣ صفحة ٣٢٣،٣٢٤ غزوة خيبر.

اول أم للمؤمنين
أم المؤمنه خديجة

قلما يجود الزمان بمثلها هي أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب أما أمها فهي فاطمة بنت زائدة العامرية ولدت بمكة حوالي منتصف القرن السادس الميلادي ونشأت معززة مكرمة ثم تزوجت في فجر شبابها من عتيق بن عابد فولدت له حارثة ثم خلف عليها بعده أبو هالة مالك بن زرارة فولدت له ولداً وبنتا فلما مات خطبها كثيرون من سادات قريش فأبت وامتنعت برغم توددهم وإلحاحهم وكانت صاحبة مال ورجال يتجرون لها فقيل أنها كانت تملك ثلث أموال قريش وقدر هذا المال بعض المحدثين بخمسة وسبعين ألف جنيه إسترليني علي الرغم من إبائها عن الزواج وإعراضها عنه لكن قلبها تفتح لمحمد وهي المعجبة بأخلاقه وسيرته الكريمة وقصت زوجها منه معروفة.(١)

مناقبها رضي الله عنها

هي أول من آمن من النساء بالنبي ﷺ وصدقت نبوته وأعانته وشجعته علي المسير في دعوته توازره وتساعده بكل ما تملك وقد ضربت أروع الأمثلة للزوجة الصالحة التي تعين زوجها علي مصائب الحياة فقد قامت رضي الله عنها بدور خطير وتحملت أقصي ما يصادفه إنسان منعم في حياته حيث كانت تدفع عنه سادة قريش وهم يكيلون له الإساءة بأنواعها.

١- أهل بيت النبي عبد الحميد جوده ٢١ السحار ص ٩٥

وكانت تشد من أزره وتقوي من عزيمته وتصبره ولعل أقوي ما صادف خديجة هو المقاطعة التي تعرض لها بنو هاشم وبني عبد المطلب بسبب ما يدعو إليه رسول الله ﷺ فقد خرجت خديجة من بيتها لتنضم إلي بني هاشم وقد جاوزت الستين من عمرها وكان حصاراً اقتصاد يا مريراً واجتماعياً بغيضاً لم تعرف البشرية له مثيل عبر القرون والازمان حتى صار المحاصرون لا يخرجون إلا من الموسم إلي الموسم فقاسوا بذلك مشقة وبلاء مكثوا فيها ثلاث سنين مع ضيق العيش والجوع والأذى فكان صوت الصبية ويسمع وهم يتضاوغون من شدة الجوع والألم ولم تكن خديجة رضي الله عنها بأقل من هؤلاء الصبية وقد أصابها المرض ودبت الشيخوخة إلي جسدها المنهك.[1]

روي أن رسول الله ﷺ دخل عليها ذات يوم بعد بعثته وهي تبكي فقالت يا رسول الله درت لُبينة القاسم. تصغير لبنة وتعني بها بقايا اللبن في الثدي فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعته فقال الأب الرسول ﷺ إن له مرضعاً في الجنة تستكمل رضاعته قالت لو أعلم ذلك لهون عليّ فقال النبي ﷺ إن شئت أسمعتك صوته في الجنة فأجابت بل أصُدق الله ورسوله. وكانت رضي الله عنها مثالاً ونموذجاً للزوجة النقية الصالحة التي تعرف حق زوجها فرضي الله عنها وعلي نسائنا أن يتأسين بها حتى يفزن برضي الله والجنة.[2]

وكانت لها منزلة خاصة عند النبي ﷺ حيث كان بعد وفاتها يود أقاربها ورحمها وصديقاتها. يقول ابن إسحاق فيما يروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء فذكرها يوماً من الأيام فادركتني الغيرة فقلت هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها؟

١- الإصابة جـ٨ صفحة ٦١
٢- مرجع سابق

قالت عائشة فغضب ثم قال لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها لقد أمنت إذ كفر الناس وصدقتن إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل أولادها إذ حرمني أولاد النساء قالت فقلت بيني وبين نفسي لا أذكرها بسوء أبداً.[1]

وروي عنها أيضا أنها قالت ما غرت علي أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت علي خديجة وما رأيتها ولكن كان ر سول الله يكثر ذكرها وربما ذبح الشاه يقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له كان لم تكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول إنها كانت وكان لي منها ولد[2] وقد ضرب ﷺ المثل في حبها حيث أنه لم يتزوج عليها وهي أول زوجة له ورزقه الله منها الولد ثلاث بنين (القاسم والطيب والطاهر) وسمي بذلك لأنها ولدتهما في الإسلام.

وماتوا قبل الفطام ورزقه الله منها كذلك بأربع بنات (رقية وزينت وأم كلثوم وفاطمة) وتزوجت وأنجبت ومع أن النبي ﷺ كان سنه خمس وعشرون سنة حين تزوجها وكانت رضي الله عنها عند التحقيق تكبره ببضع سنين لا تزيد علي الثمانٍي أو العشرة فلو أن سنها عند الزواج أربعون لكان قد قربت من سن اليأس وهي السن التى ينقطع فيها دم الحيض فلا تلد المرأة وهي في الغالب سن الخامسة والأربعون وعلي فرض أن تبقي سن الولادة إلي الخمسين فمن المستبعد أن تبقي إلي سن الخامسة والخمسين فقد نقل السهيلي في الروض الأنف عن رواية الزبير بن العوام بن خويلد قوله ولدت خديجة له القاسم وعبد الله وهو الطيب وسن النبوة كان في الأربعين للرسول ﷺ.[3]

١- الحديث أخرجه أحمد في مسنده.

٢- أهذا الحديث أخرجاه في الصحيحين البخاري ومسلم في فضائل خديجة.

٣- زوجات النبي محمد ﷺ وأسرار الحكمة في تعددهن صفحة ٢٣،٢٤ إبراهيم محمد حسن الجمل طـ دار الشعب ١٩٧٧.

فتكون خديجة قد أربت على الخامسة والخمسين ولذلك فنحن نميل إلى القول بأن أم المؤمنين خديجة تزوجت الرسول ولم تكن تكبره إلا بضع سنين ولم تكن في سن الأربعين كما ذهب معظم الرواة ولا عبرة بما يقال من أن نساء قريش يلدن بعد الستين ويحتفظن بجمالهن ونضارتهن إلى المائة. ومع هذا الفارق في السن سواء كان أمر قليل أم كثير فإن النبي ﷺ لم يشعر معها بأي ضيق أو حرج أو فارق فقامت بحقوقه على أكمل وجه وكانت تجعل البيت له سكينة وراحة ليستجم ويستريح مما يلاقيه من عنت قريش وكانت تهون عليه وتخفف عنه متاعب ومصاعب الحياة.[١]

بشارتها الجنة

وقد بشرت أم المؤمنين خديجة بالجنة وجاء بالبشارة جبريل وذلك ما رواه البخاري عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه أدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[٢] قال العلماء معنى قصب أي لؤلؤ مجوف ومعنى لا صخب فيه ولا نصب أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب فكما أنها رضي الله عنها لم تتعب رسول الله ﷺ وأنسته ولم تجعل البيت مصدراً للنصب والصياح والإزعاج وإنما جعلته سكينة فجزاها الله من جنس عملها فبشرها ببيت في الجنة وليس هذا فحسب وإنما بيت كله هدوء وسكينة لأنها جعلت بيتها في الدنيا هدوء وسكينة لرسول الله فكان الجزاء من جنس العمل جزاءً وفاقا.[٣]

١- البخاري وصحيح الإمام البخاري صفحة ٣١٥ بشر وحاشية السندي ط دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى.

٢- تفسير السيرة الروض الأنف للإمام السهيلي جـ٢ صفحة ١٧٥ ط دار التراث البابي الحلبي.

٣- مرجع سابق.

فضلها

ما روي عن عليٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة[1] وقال ﷺ أيضا في حديث أخر.

" أفضل نساء العالمين خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ".

فهذين الحديثين وغيرهما يؤكدان فضل أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها.

وفاتها

توفيت رضي الله عنها بعد رحلة كفاح ونضال مع رسول الله ﷺ من أروع النماذج الإنسانية وأعظم المواقف قضت خلالها خمساً وعشرين سنة في خدمة النبي زوجة ومجاهدة ومساعدة بالمال والنفس والنفيس وفاضت روحها الطاهرة في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت بالحجون بمكة فرضي الله عنها إلي يوم الدين.

١- البخاري وصحيح الإمام البخاري صفحة ٣١٤ بشر وحاشية السندي ط دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى.

سيدة نساء العالمين
فاطمة الزهراء

تربت فاطمة عليها السلام في بيت سيد ولد آدم عليه أشرف صلاة وسلام. وتخرجت في مدرسته وتأدبت على عينه وتولاها برعايته فكانت بحق بنت أبيها وأحب الناس إليه ﷺ حتى كان حرباً لمن حاربها وسلماً لمن سلمها بل كان إذا رآها قام إليها وقبلها بين عينيها ويجعلها في المقام الأول فلما نزلت الآية القرآنية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.

أرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعليٍ والحسن والحسين فقال هؤلاء أهلي قالت فقلت يا رسول الله أفما أنا من أهل البيت؟ قال بلى إن شاء الله عز وجل.[1]

ولما بلغت فاطمة عليها السلام سن الخامسة عشرة تزوجت بابن عم أبيها عليٍ ابن أبي طالب رضي الله عنه فصبرت معه على الفقر والجوع والتعب والمشقة قال علي رضي الله عنه: لقد تزوجت فاطمة ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلق عليه الناضح بالنهار ومالي ولها خادم وكان بيتها متواضعاً ومالهما قليل حتى ازداد نصبهما (النصب التعب) وأنحني جسمها لكن النبي ﷺ يصبِّرهما فيصبِّران ويعلِّمهما فيتعلمان.

فقد روي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجة فاطمة عليها السلام بعث معها خميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحاءين وسقاء وجرتين قال. فقال عليٌ لفاطمة ذات يوم والله لقد سنوت (أي أخرجت الماء من البئر الدلو) حتى قد اشتكيت صدري.

١- طبقات ابن سعد جـ٨ صفحة ١٦،٢٥ رقم ٤٠٩٧
٢- صفة الصفوة جـ١ ص ٢٢٧

وقد جاء الله أباك بسبي (السبي الأسري) فاذهبي فاستخدميه أي (اطلبي منه خادماً) فقالت أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي (ومعنى مجلت: تخن الجلد وظهر الورم).

فجاءت النبي ﷺ فقال ما جاء بك أي بنية، قالت جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت فقال الزوج ما فعلتي قالت استحييت أن أسأله شيئاً فأتياه جميعاً فقال علي كرم الله وجهه والله يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقالت فاطمة قد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاء الله بسبي وسعاً فاخدمنا قال والله لا أعطيكما وادع أهل الصفة تطوي بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانها فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما فثار (أي قاما حياء).[1]

فقال مكانكما ألا أخبركما بخير مما سألتما نبي فقالا بلى فقال كلمات علمنهن جبريل عليه السلام تسبحان في دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمد ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين قال فو الله ما تركتهن منذ علمهن رسول الله ﷺ.[2]

وكان الرسول يغضب لغضبها ويرضى لرضاها فعندما أراد علي أن يتزوج بنت أبي جهل. علي فاطمة عليها السلام فقام النبي ﷺ على المنبر فقال إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا أذن ثم لا أذن لا أذن إلا أن يُريد علي بن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنها بضعة مني يريبني ما يريبها ويؤذيني ما أذاها.[3]

١- الإصابة

٢- السمطـــة الثمينة في مناقب أمهات المؤمنين

٣- والحيلة وغيـــره من المراجع

وفي المرض الأخير لرسول الله ﷺ أقبلت فاطمة رضوان الله عليها علي أبيها فبكت بكاءً شديداً ثم ضحكت ثري لماذا تقول عائشة رضي الله عنها كنت جالسة عند رسول الله ﷺ فجاءت فاطمة عليها السلام تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال مرحباً بابنتي فأجلسها عن يمينه أو عن يساره ثم أسر إليها شيئاً فبكت ثم أسر إليها شيئاً فضحكت قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت ضحكاً أقرب من بكاء إستخصك رسول الله ﷺ بحديث ثم تبكين فأي شيء أسر إليك رسول الله ﷺ.(١)

قالت فاطمة عليها السلام ما كنت لأفشي سرُه.

فلما قبض رسول الله ﷺ سألتها فقالت قال جبريل عليه السلام كان يأتيني كل عام فيعارضني بالقرآن مدة وإنه أتاني العام فعارضني مرتين ولا أظن أجلي إلا وقد حضر ونعم السلف أنا لك. وقال أنت أسرع أهلي بي لحوقاً قالت فبكيت لذلك فقال أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين قالت فضحكت.(٢)

بشارتها بالجنة

روي الحاكم بسنده أتي النبي ﷺ ملك وقال إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.(٣) وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران(٤) أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران واسية بنت مزاحم امراة فرعون.(٥)

١- رواه الترمذي في المناقب باب ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها.

٢- رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي ﷺ رقم ٤٤٣٣،٤٤٣٤

٣- رواه الحاكم بسنك جيد أنظر فتح الباري جـ٧ صفحة ١٣٢ مناقب فاطمة.

٤- صحيحي رواه أبو يعلي والإمام أحمد وأبو يعلي والحاكم أنظر السلسلة الصحيحة ٧٩٦ وصحيح الجامع ٣١٨١.

٥- صحيح رواه أشهد والطبراني والحاكم والطحاوي والضياء عن ابن عباس أنظر السلسلة رقم ١٥٠٨

وفاتها

بعد ست أشهر وقيل ثلاثة أشهر لحقت سيدة نساء أهل الجنة بسيد أهل الدنيا والآخرة علي الإطلاق ﷺ وكان ذلك في العام الحادي عشر من الهجرة الموافق سنة ٦٣٢م.

امرأة تتحدي بإيمانها دولة

آسية زوجة فرعون

هي السيدة الفاضلة آسية بنت مزاحم زوجة فرعون لعنه الله عز وجل.

فضائلها

لها رضي الله عنها فضائل كثيرة وأعظم هذه الفضائل أنها حينما سمعت بدعوة نبي الله موسى ﷺ إلي عبادة الله الواحد الأحد الخالق المستحق للعبادة آمنت بالله وآمنت بموسى وبدعوته وقالت مع السحرة آمنت برب موسى وهارون وضربت أروع الأمثلة في الإيمان الصادق المتغلغل في القلب والعقيدة الصحيحة الثابتة.

ولما أطلع فرعون علي إيمانها فقال للملأ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم فأثنوا عليها فقال لهم إنها تعبد غيري إله فقالوا له: أقتلها وسبحان الله امرأة ضعيفة تتحدي فرعون مصر وجنوده وكما جاء في الأثر أمر فرعون أن تشد رجليها في أربعة أوتاد فمنّ الله عليها بكرمات منها أن جنود فرعون إذا تفرقوا عنها أظلتها ملائكة تحفظها فكانت تدعو الله قائلة.
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها أنا نعذبها وهي تضحك فقبض الله روحها وأدخلها الجنة رضي الله عنها.[1]

فهذه السيدة المؤمنة التي تحدت فرعون الذي ادعي الألوهية وقال أنا ربكم الأعلى وتحدت جبروته وعناده وكفره وطغيانه وجنوده وسلطانه وهي امرأة ضعيفة عزلاً لا قوة لها ولا سلطان الا إيمانها القوى الذي تزول الجبال.

١- تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٣٩٤

ولا يزول وأمام هذا الإيمان التى لم تر البشرية له مثيل من قبل انكسر غرور فرعون وتهاوي سلطانه وماله تحت أقدام هذه السيدة الفاضلة وكان فرعون يتمني أن ترجع عن إيمانها وقال لجنوده إن رجعت عن قولها فهي امرأتي وإن مضت علي قولها فألقوها علي الصخرة وذات يوم مر عليها فرعون وهي موثقة اليدين والرجلين وتدعو الله ربي ابن لي عندك بيتاً في الجنة. الذي هز كيانه ولكنه الغرور والعناد فأصبحت مثلاً ونموذجاً لقوة الإيمان ومثلاً مشرفاً للمرأة منذ أقدم العصور بل يشرف البشرية كلها.

بشارتها بالجنة

قال تعالي:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾

ويكفيها شرفاً وفخراً وعزاً وبهاءً وسمواً أن يصفها الله عز وجل بالإيمان ويذكرها في القرآن الكريم وجعلها نموذجاً لثبات الإيمان الذي لا يزعزعه شيء.

ومن فضائلها كذلك شهادة النبي ﷺ لها بالمكانة العظيمة فقال: كمُل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد.[1]

رحمها الله فضلت الموت مؤمنة بالله علي الحياة منعمة في قصر فرعون.

١- هذا الحديث سبق تخريجه ومن أراد فليرجع إلي صفحة ٢٠من هذا الكتاب

قال عنها واصفوها

كانــــت عائشــــة جمــــيلة الوجــــه دقــــيقة الخلقــــة حســــنة التقيســــم وســــيمة الطلعــــة قويــــة الــــنظرات ذات عينيــــن تــــدل ســــيماهما علــــي الرفاهــــية والدقــــة والــــنعومة عالــــية الجبيــــن بسَــامة ســـريعة الــنطق تحســـن الاســـتماع والإصــــغاء حــــادة اللســــان فــــي غــــير غلظــــة ســــريعة الغضــــب أحــــياناً ســــريعة الرضــــا دائمــــاً تغفــــر لخصــــومها شــــديدة الغــــيرة علــــي رســــول اللهﷺ ولكــنها لا تــتحكم فــيه كمــا تفعــل أي امــرأة غــيور فــــرضى الله عنهــــا وأرضاها

السيدة عائشة رضي الله عنها

من المعلوم أن السيدة عائشة غنية عن التعريف فهي بنت أبي بكر الصديق أبن أبي قحافة أول من آمن بالرسول ورفيقه في الغار ومصدقه في كل ما جاء به ووزيره وخليفته من بعده وأمها أم رمان بنت عامر الكنانيه من الصحابيات الجليلات أسلمت مع زوجها وأخلصت لدينها وهاجرت إلي المدينة ثم توفيت في حياة الرسول فنزل قبرها واستغفر لها وقال: اللهم لا يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك.[1]

ولدت عائشة رضي الله عنها بمكة بعد أربع سنوات من بعثة الرسول وقد رأي ﷺ ابنة صديقه وصفيه وهي تشب عن الطوق وكثيراً ما أوصي بها أمها. ولم تكن خطبة الرسول ﷺ عائشة وهي صغيرة بدعا ولا جديداً جاء به محمد من عنده بل سار علي التقاليد المعروفة والمتوارثة فلم يكن محل انتقاد من أحد ولا مثار جدل ولم نري من أعداء الرسول ﷺ من تعوض لهذا الزواج. دخلت عائشة بيتها وهو عبارة عن حجرة من الحجرات التي بنت حول المسجد من اللبن وكان السقف من جريد النخيل والأثاث عبارة عن فراش من أدم حشوه ليف ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير والباب عبارة عن ستارة من الشعر.[2]

لكن عائشة رضي الله عنها علي الرغم من صغر سنها كانت متفهمة للحياة المقبلة عليها واعية للمهمة الملقاة عليها فهي ليست زوجة عادية بل هي زوجة رسول ونبي وعليها وإن كانت صغيرة السن إلا أنها كانت كبيرة القلب ذكية حازمة.

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة للعلامة ابن الأثير جـ١ صفحة ٣٦٥
٢- مرجع سابق بتصريف يسير

وهذا ما جعل النبي ﷺ يحبها حباً شديداً ويعطف عليها فنالت من المنزلة عنده ما لم تنله غيرها من نسائه اللاتى كن معها وكانت عائشة رضي الله عنها تسأله من وقت لآخر كيف حال العروة الوثقة يا رسول الله فيقول: إنها علي حالها لم تتغير ولم تتبدل لأنه روي عنه ﷺ أنه قال يا عائشة حبك في قلبي كالعروة الوثقي.[1]

دخل عليها ضرائر كثيرات مختلفات الجمال متعددات المناقب متنوعات الجنسية كلهن ثيبات وما كان لمثل عائشة ومكانتها إلا أن تغار لحبها الكبير لرسول الله ﷺ وللطبيعة التى خلق الله المرأة عليها ولكن ليس علينا أن نبالغ في الغيرة التى كانت عليها عائشة ولا أن نحملها مالا تطيق ولم يكن ذلك بغريب علي رسول الإنسانية وهو القائل.

إن الله كتب الغيرة علي النساء والجهاد علي الرجال فمن صبر منهن إيماناً واحتساباً كان لهن مثل أجر الشهيد[2] وليس معنا حب الرسول ﷺ كان يميل إليها حاشا لله أن يحدث منه ﷺ فقد صح عنه أنه قال اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك.

وربما غار زوجات الرسول من عائشة فقد روي عنها أنها قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت النبي ﷺ فاستأذنت والنبي مع عائشة في مرضه. فأذن لها فدخلت عليه فقالت يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة فقال النبي ﷺ ألست تحبين ما أحب فقالت بلي قال فأحبي هذه قالت فقامت فاطمة رضي الله عنها فخرجت فجاءت أزواج النبي ﷺ فحدثتهن بما قالت وبما قال لها فقلن ما أغنيت عنا من شيء فارجعي إلي النبي ﷺ فقالت فاطمة رضي الله عنها والله لا أكلمه فيها أبداً.

١- أمهات المؤمنين بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن) صفحة ٢٧٥

٢- الجامع الصغير للسيوطي جـ١ صفحة ١٢٠

فارسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش فاستأذنت فأذن لها فدخلت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة قالت عائشة ووقعت في زينب قالت عائشة فطفقت أنظر إلى النبي ﷺ حتى يأذن لي فيها فلم أزل حتى عرفت أن النبيﷺ لا يكره أن انتصر قالت فوقعت في زينب فلم أنشبها أن أفحمتها فتبسم النبيﷺ ثم قال إنها ابنة أبي بكر.(١)

وروي الإمام البخاري عن عروة قال كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قالت فاجتمع صواحبي إلي بيت أم سلمة فقالوا يا أم سلمة إنا أريد الخير كما تريد عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان.

فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت فأعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له ذلك فقال يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها.(٢)

وربما غارت عائشة من ماريه المصرية لأنها رزقت إلا بن وربما غبطت خديجة لأنها لم تصل إليّ مكانتها من قلب الرسول أو غارت من أول يوم تنضم زوجة إلي بيوته النبي ولكن الشيء الذي كانت تعتقده أن ما يجري في بيوت النبي والأحداث المتجددة كلها تخضع لحكمة وأن الرسول ليس ملكاً لها ولا لزوجاته وإنما هواه تبع لما جاء به هذه حقيقة والحقيقة كانت تغيب عنها في بعض الأحيان فتصدر منها كلمة أو انفعالة فكان النبي ﷺ يتقبل ذلك متسامحاً رءوفاً رحيماً.

١- الحديث صحيح أخرجه مسلم في فضائل عائشة بهذا اللفظ وأبو يعلي والبزار مختصر بغير هذه القصة.

٢- هذا الحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم في فضائل عائشة والنسائي في عشرة النساء والترمزي في فضائل عائشة.

ومن طريف ما يذكر أن فاطمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ ما قالته عائشة فقد قالت لها مرة: إن رسول الله ﷺ تزوجني بكراً وتزوج أمك ثيباً فذكرت فاطمة باكية لأبيها ما قالته عائشة فقال لها الرسول الأعظم قولي لها أن أبي تزوج أمي وهو بكر ولم يتزوج قبلها وبهذا يكون قد بان لنا فضائل أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها.

فضائل عائشة

بعد وفاة الرسول ﷺ تفرغت أم المؤمنين لتأدية الواجب عليها نحو الرسالة الخالدة وكانت بحراً زاخراً في الدين فقهاً وتشريعاً حيثما تسير يسير العلم والفضل والنفس ويكفيها فخراً أنها حفظت للأمة ثروة ضخمة من سنته ﷺ قولاً وخلقاً وسلوكاً.

قال هشام بن عروة عن أبيه ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً.[1]

فهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه يوضح لنا مكانة السيدة عائشة رضي الله عنها، حيث أنه ما أشكل علي أصحابه أي غمض عليهم أمر حديث أو أمر فتوى أو أي شيء فكانوا ينادون بأم المؤمنين عائشة.

ولذلك نري أبو الضحى فيما يرونه عن مسروق يقول: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض.[2]

١- تاريخ ابن الأثير جـ٢ صفحة ١١٤

٢- مرجع سابق.

فلم يقف ذهاب الصحابة إلي أم المؤمنين عائشة علي طائفة معينة من أصحاب رسول الله ﷺ بل أن أكابر الصحابة رضوان الله عليهم ليستفيدوا بعلمها الغزير وعن الفرائض وأن المتصفح لكتب الحديث ليجد أنها تشهد بعلمها الغزير وعقلها الكبير.

فلم يروي في الصحيح عن أحد من الرجال أكثر مما روي عنها إلا شخصان هما أبو هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فهذه مأثرة تضاف إلي مآثرها التي تكاد لا تنتهي ومفخرة من مفاخرها العظيمة أن تكون صاحبة أكبر رقم قياسي في الرواية عن رسول الله ﷺ بعد ذاكرة الأمة أبي هريرة رضي الله عنه وأشبه الناس سمتاً لرسول الله ﷺ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.[1]

ولم يكن الزهري مبالغاً حينما قال لو جُمع علم عائشة إلي علم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة رضي الله عنها أكثر فبحق أنها كانت وستظل مفخرة لبني الإنسان عامة وللمسلمين خاصة وصدق رسول الله ﷺ حين قال: كمُل من الرجل كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة علي النساء كفضل الثريد علي سائر الطعام.[2]

روي عن مالك بن الطفيل أنه قال أن عائشة حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة والله لتنتهين أولا حجرن عليها فقالت أهو قال هذا؟

١- زوجات الرسول ﷺ وأسرار الحكمة في تعددهن صفحة ٣٩ (إبراهيم محمد حسن الجمل)

٢- حديث صحيح اتفق الشيخان علي إخراجه

قالوا نعم قالت هو الله عليّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة وكلم ابن الزبير كثيراً من الصحابة وهي مصرة علي رأيها فلما أكثروا علي عائشة من التذكرة والتصريح وقفت تذكر من يتكلم معها وتبكي وتقول أني نذرت والنذر شديد فلم يزالوا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبلل بدموعها خمارها.(١)

وهذه صفة من صفاتها التي لازمتها كثيراً فقد روي أنها كانت كثيرة الصيام وهذا شاهد عيان يصف حالها فيقول كنت إذا غدوت أبدأ بيت عائشة أسلم عليها فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ قول الحق:

﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾(٢)

وتدعو وتبكي وترددها فقمت حتى مللت القيام فذهبت إلي السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي.

وروي عنها كذلك أنها قالت إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب فمن سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف نفسه عن الذنوب.

١- أمهات المؤمنين د/ بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن صفحة ١١٢

٢- سورة الطور ٢٧

مناقب السيدة عائشة

أما مناقب السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فشيء كثير ما ورد في كرمها وزهدها وتعبدها واجتهادها وخوفها من الله ومواعظها وكلامها وعلمها وفصاحتها فهذا شيء كثير وهذه طائفة من أقوال بعض السلف الصالح عن عائشة رضي الله عنها.[1]

فعن عطاء قال بعث إليها معاوية بطوق ذهب فيه جوهرة قوم بمائة ألف فقسمته بين أزواج النبي ﷺ فهذه العطية النفيسة لم تؤثر بها نفسها دون غيرها من النساء بل قسمت هذا المال على أخواتها من زوجات الرسول ﷺ ولم ينالها منه شيء وليس هذا غريب عليها فإن أباها الصديق رضي الله عنه وزوجها خاتم الأنبياء ﷺ وأكرم خلق الله وأجود من الريح المرسلة وإليك أيها القارئ الكريم هذا النموذج الذي يفطر القلب ويجعل العين تدمع.

ما روي عن أم ذرة وكانت تغشى عائشة قالت بعث إليها ابن الزبير بمال في غرارتين قالت أراه ثمانين ومائة ألف فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم فلما أمست قالت يا جارية هلمي فجاءتها بخبز وزيت فقالت أم ذرة أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه فقالت لها لا تعنفيني لو كنت ذكرتني لفعلت.[2]

فهذه السيدة التي كانت تخالط أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصف هذا المشهد الفذ الفريد فتقول بعث إليها ابن الزبير وهو ابن أختها أسماء رضي الله عنها.

١- مرجع سابق.

٢- امهات المؤمنين د/ بنت الشاطئ ص ١٠٥

وقد ملك بضع سنوات الحجاز قبل أن يقتل علي أيدي الحجاج فارسل أكثر من مائة وثمانين ألف درهم وهذه ثروة عظيمة وإذا ما قرنت بمقادير ذلك العصر وهذا المال مال حلال وإلا لم تكن تسمح السيدة عائشة بدخوله بيتها وكانت في حاجة ماسة إلي هذا المال ولكنها فضلت أن تنفقه في سبيل الله وجلست تقسم هذا المال حتى فرغت منه وأقبل عليها الليل وهي صائمة وحان موعد إفطارها فافطرت علي خبز وزيت فقالت لها شاهدت هذا الموقف ألم تبقى لنا درهم نشتري به لحماً لنفطر عليه درهم من مائة وثمانون ألف أليست هذه كانت تقضي من الهلال إلي الهلال لم يوقد في بيتها نور يضاء به أركان البيت في حبات الرسول ﷺ لعل قائل يقول كان ذلك لقلة المال، فما بالها اليوم لها مائة وثمانين ألف درهم وتفطر علي خبز وزيت إنه الإيمان والتقوى والورع وهذا مشهد لا يقل روعة عن سابقه فلقد روي عن عروة قال لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفا وهي ترقع ذراعها وإني أتسائل ارأينا في حياتنا مثل هذه المشاهد.(1)

ازف الرحيل

تتابعت الأيام وتقدمت بها السنون وبلغت السادسة والستين من عمرها ومرضت أم المؤمنين وها هو حاجب أم المؤمنين ذكوان يصف لنا اللحظات الأخيرة من حياة هذه القديسة رضي الله عنها فيقول: جاء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يستأذن علي عائشة وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقلت هذا ابن عباس يستأذن فاكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال هذا بن عباس فقالت دعني من ابن عباس فقال لها يا أماه إنه من صالحي بنيك يسلم عليك ويودعك فقالت ائذن له إن شئت فأدخلته.

١- امهات المؤمنين د/ بنت الشاطئ ص ٤٠٥

فلما دخل قال: أبشري فما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد كنت أحب نساء رسول الله إلي رسول الله ﷺ.[1]

ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً وسقطت قلادتك ليلة الابواء فأصبح رسول الله حتى تصبح في المنزل وأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾

هذه الآية الكريمة وردت في القرآن مرتان في (سورة المائدة آية ٦، وسورة النساء آية ٢٣).

فكان لهذا من سببك (أي فكان ذلك في سببك) وما أنزل الله عز وجل لهذه الأمة من الرخصة وإنزال الله عز وجل براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله عز وجل يذكر فيه الله إلا تتلي فيه أناء الليل وأناء النهار. فقالت دعني منك يا بن عباس فو الذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً.

معني هذا تقسم قسم مغلظ فتقول (والله الذي أنا مملوكة له وتحت تصرفه لتمنيت أن كنت نسياً منسياً).

ودنا الأجل وأزفا وقت الرحيل واشتدت العلة علي أم المؤمنين ولبت نداء ربها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من رمضان سنة ثمان وخمسين الموافقة ٦٧٧ من الميلاد وهي ابنة ست وستين سنة وهرع أهل المدينة إلي بيتها وهم يبكون حبيبة رسول الله والقريبة إلي قلبه ولف الليل المدينة وصلي أبو هريرة علي أم المؤمنين وحمل الناس المشاعل في موكب يليق بأم المؤمنين ودموع الناس لا تنقطع ودفنت كما أوصت بالبقيع مع صوا حباتها رضي الله عنهن جميعاً.[2]

١- امهات المؤمنين د/ بنت الشاطئ ص ٤٠٥
٢- مرجع سابق.

أم المؤمنين زينب بنت جحش

لا يتدخل القرآن الكريم في أمر إلا إذا كان بالغ الأهمية والقرآن كان أكثر تدخلاً في زواج زينب بنت جحش وربما كانت أكثر الزيجات التى تعرض لها القرآن لخطورتها البالغة وما صادفها من ظروف خاصة وما أشارت من شبهة وخلاف قضي عليها الوحي المنزلّ.

ولما كان زيد بن حارثة بطلاً من أبطال هذا الزواج وعنصراً أساسياً فيه فسوف نتناوله بشيء من التفصيل.

كان زيد بن حارثة هذا عبداً لحكيم بن حزام ابن أخي خديجة زوج محمد ﷺ أخذته خديجة من ابن أخيها ووهبته لمحمد وتعلق زيد بسيده حتى أنه أبي أن يذهب مع أبيه حارثة وفضل أن يكون عبداً لمحمد علي أبيه وأمه فأخذ محمد بيده وأشهد القوم في مكة علي أن زيدا هذا إبنه بالتبني وصار ينادي زيدُ بن محمد.

ولما جاء الإسلام أسلم زيد بعد علي بن أبي طالب وهاجر إلي المدينة وأخي رسول الله ﷺ بينه وبين عمه حمزة رضي الله عنه ثم اختار له الرسول ﷺ زينب بنت جحش ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب، وكانت زينب كما قال عنها واصفوها أنها كانت بيضاء سمينة من أتم نساء قريش.(١)

وقد صارت زوجة لزيد استجابة لرسول الله ﷺ وتنفيذاً لما جاء به القرآن الكريم فقد نزل فيها قول الله تعالي:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾(٢)

١- مقاومات الحياة الإسلامية د/ أحمد خميس ص ٩٦

٢- سورة الأحزاب ٣٦

إلا أنها كرهت هذا الزواج وحاولت أن تضغط علي قلبها ليميل إلي زيد فلم تطاوعها نفسُها ولم تستسغ معاشرته والحياة معه للفارق الكبير حيث أن نساء العرب كن يأنفنا من الزواج من عبد ولو نال الحرية ويفضلنا العنوسة علي الزواج ممن كان علي شاكلته ولا سيما إذا كانت قرشية من بني عبد المطلب. ولذلك وجدت زينب نفسها في مأزق فواجبها أن تحترمه وتقدره كمسلم وليس في استطاعتها أن تتقبله ولا أن تعاشره لكنها بقبولها حطمت مبدأ العصبية القبلية والشرف الجاهلي فقد جعل الإسلام الشرف في الدين والتقوى أما سوء العشرة بين زينب وزيد فمرده إلي الاختلاف الاجتماعي وهذا ما أوصي به التشريع الإسلامي بملاحظته عند الزوج.[1]

وأصبحت الحياة بينهما شبه مستحيلة وليس بينهما إلا الفراق، ولقد كان رسول الله ﷺ يريد أن يدوم هذا الزواج فكثير ما شكا إليه زيد سوء معاملة زينب له لأنها كانت تترفع وتتعالى عليه علم رسول الله ﷺ بذلك فكان يطلب منه مزيد من الاحتمال ويأمره أن يمسك عليه زوجته وكان الرسول ﷺ يعرف زينب جيداً من صغرها فقد نشأت معه فهي ابنة عمته وقد زوجها ابنه بالتبني ولو أراد أن يزوجها لغير زيد لزوجها ولكن حياة الرسول مع التشريع[2] وإن كان الله سبحانه وتعالي يقول في حقه عليه ﷺ:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[3]

فهل كانت فعاله إلا كذلك لقد صمم زيد علي طلاق زينب فقال له النبي ﷺ : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾[4]

١- مرجع سابق.
٢- مقاومات الحياة الإسلامية د/ أحمد خميس صفحة ٩٥
٣- النجم ٣-٤
٤- الأحزاب ٣٧

ولكن زينب هجرته ولم يكن هناك من مخرج إلا بالطلاق لقد أنهي زيد ما بينه وبين زينب فهل أشفق الرسول ﷺ عليها لأنه أكرها علي الزواج فأراد أن يطيب خاطرها بزواج موفق وهل له أن يتزوجها وكيف يكون ذلك وقد أعلن من قبل أن زيداً ابنه وكيف يواجه الناس بل وكيف يتركها تقاسي متاعب الحياة وحدها.[1]

نعتقد والله عنده العلم أن مثل هذا دار بخلد النبي ﷺ إذ صدقته الأحداث التي حصلت بعد وكان الوحي قد قطع عليه ما يجول بخاطره ليضعه أمام تشريع جديد يلغي فيه التبني ويؤكد ذلك عملياً فيلحقه بأبيه الذي أنجبه.

فقد روي أن النبي ﷺ كان يتحدث بجواز زواج زوجة الابن المتبني وبإلغاء نسب المتبني مع عائشة إذا أخذته غشية الوحي ثم سري عنه وهو يبتسم ويقول من يذهب إلي زينب يبشرها بأن الله زوجينها ثم تلا ما نزل عليه من الوحي:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[2]

وتلا قوله تعالي في إلغاء التبني فصار يدعي زيد بن حارثة بدل زيد بن محمد:

١- مرجع سابق.

٢- الأحزاب ٣٧.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ﴾[1]

نفذ الرسول ما أمر به وتقبله بنفس راضية وأرسل الرسول أنس بن مالك ليبلغ زينب فقالت ما أنا بصانعة شيئاً في أوامر ربي عز وجل.

ثم قامت إلي مسجدها وانتشر الخبر في أنحاء المدينة ودُعي الناس إلي الطعام وضعت أم سليم رضي الله عنها طعاماً ثم حطته في تنور وأرسلته إلي الرسول ﷺ من يخبره بأن هذا الطعام من عندها وأنه قليل فنظر إليه ثم قال ﷺ ضعه في ناحية البيت ثم قال لأنس أذهب فادع لي فلاناً وفلاناً فسمي رجالاً كثيرين قال لأنس رضي الله عنه ومن لقيت من المسلمين قال أنس رضي الله عنه فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة الحجرة ملأ من الناس وقال رسول الله لأنس جئ فجئت بالطعام فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله ثم قال ليلحق عشرة عشرة وليسموا وليأكل كل إنسان مما يله فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول الله ﷺ إرفعه قال فجئته فأخذت الطعام فنظرت فيه.

١- الأحزاب ٥-٤

فلا أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ وزوج رسول الله التي دخل بها معهم (أي التي كانت موجودة أثناء وجود هؤلاء الرجال) مولية وجهها إلى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله ﷺ وكان أشد الناس حياءً ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً.[1]

فقام رسول الله ﷺ فسلم على من في حجرته من نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه فابتدروا الباب (أي أسرعوا إلى الباب يخرجون) ومكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً وأنزل الله عليه قرآناً يتلى إلى يوم الدين فخرج وهو يقرأ قول الحق:[2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾[3]

١- زوجات الرسول ﷺ وأسرار الحكمة في تعددهن ص ٨٧.
٢- زاد المعاد في هدي خير العباد جـ٢ ص ٢١٠.
٣- سورة الأحزاب رقم ٥٤-٥٣

ويبدو أن أناساً تكلموا في سرائرهم كلاماً فقطع الوحي عليهم كل ما تحدثهم به نفوسهم فلقد فرض الحجاب علي نساء النبي صوناً لهن وبعداً عن الألسنة والأعين.[1]

فضائل ومناقب زينب بنت جحش

انضمت زينب رضي الله عنها إلي زوجات النبي وكانت تعتز بانضمامها إلي الرسول ﷺ وكانت رضي الله عنها تفخر بأن الله هو الذي زوجها من فوق سبع سموات وكانت دائمة العبادة لله كثيرة السجود والحمد لله.

فقد روي أن رسول الله قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن زينب بنت جحش أواهة فقال رجل يا رسول الله ما الاواه؟ قال: الخاشع المتضرع ثم تلا: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[2]

ظلت وفية لزوجات الرسول فقد وقفت بجوار عائشة في محنتها في حادثة الإفك بالرغم من أن عائشة كانت تنازعها القرب من رسول الله إلا أنها كثيراً ما كانت تتضرع إلي الله عابدة صائمة، ولما نقل الرسول ﷺ إلي الرفيق الأعلى زادت من كرمها وخيرها ودامت علي التصدق علي المساكين تقرباً إليه سبحانه وتعالي فكانت تنفق كل ما وصل إلي يدها من مال.[3]

فقد روي أن عمر بن الخطاب وهو في خلافته أرسل إليها عطاءها أثني عشر ألف درهم فجعلت تقول اللهم لا يدركني هذا المال في قابل فأنه فتنة ثم قسمته إلي أهل رحمها وفي أهل الحاجة.

١- مرجع سابق.

٢- التوبة ١١٤.

٣- المبشرون بالجنة طه عبد الرؤوف ص ٦٥

فبلغ ذلك عمر فوقف ببابها وأرسل إليها بالسلام وقال بلغني ما فرقت فأرسل ألف درهم تستبقيها وأرسل الألف فتصدقت بها جميعاً وكانت رضي الله عنها تعمل بيديها فتدبغ وتخرز وتتصدق بما يصل إليها في سبيل الله.

أعدت كفنها واستعدت لاستقبال الموت وقالت أنا قد أعددت كفني وأن عمر أمير المؤمنين سيبعث إلي بكفن فتصدقوا بأيهما.[1]

وروي أن النبي ﷺ قال لبعض نسائه يوماً أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة الرسول نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب ولم تكن بأطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة وقالت عائشة رضي الله عنها أيضاً لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب واتق الله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب به إلي الله عز وجل وقالت فيها أم سلمة كانت زينب لرسول الله ﷺ معجبة وكان يستكثر منها وكانت صالحة قوامة تعمل بيدها وتتصدق بذلك كله علي المساكين روت عن النبي ﷺ وروي عنها ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش وأم حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت سلمة.

وفاتها

توفيت رضي الله عنها سنة عشرين من الهجرة عن ثلاث وخمسين سنة ودفنت بالبقيع وقد رستها عائشة بقولها ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل ودفنت بالبقيع ﷺ رضي الله عنها إلي يوم الدين.[2]

1- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للإمام السهيلي جـ١ ص ٣٢٥
٢- مرجع سابق

الرميصاء زوجة أبي طلحه، رضي الله عنها

هي أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية الخارجية أم أنس بن مالك رضي الله عنه.[1]

مناقبها

كانت أم سليم رضي الله عنها من أفاضل النساء فقد آمنت برسول الله ﷺ حين قدم من مكة المشرفة إلي المدينة المنورة وكان زوجها غائباً في سفر فعند ما عاد من سفره حاول الضغط عليها حتى تعود لما كانت عليه فرفضت بتاتاً وعارضته ولم ترجع عن الإسلام: وجعلت تلقن ولدها أنس التوحيد ولما مات زوجها أهدت ولدها أنس بن مالك لرسول الله ﷺ ليكون خادماً له وترجت رسول الله أن يقبله منها فقبله وأحسن معاملته حتى قال أنس رضي الله عنه خدمت رسول الله عشر سنين لم يقل لي أف صنعت أو تركت وكان يعلمه برفق ولين ويقول له: يا غلام كلُ مما يليك لنقتدي به في معاملة الخدم والمماليك ورفضت أم سليم الزواج من أبي طلحة الذي تقدم لها إلا أن يؤمن بالله وقالت له مهري أن تؤمن بالله واقتنع بالإسلام وهداه الله إلي نور الحق المبين.[2]

وأن ما كان يعبده حجراً أو خشباً لا يضر ولا ينفع فعلم الرجل إن الإسلام حق فأمن فتزوجته ولم تأخذ منه صداقاً.

ومن أعظم مناقبها إيمانها الصادق وعقيدتها الثابتة التي في سبيلها ومن أجلها يهون كل شيء وكانت مثالاً للزوجة الطائعة التي تعرف حق زوجها عليها.

١- الإصابة جـ٢ صفحة ٩٥

٢- حياة الصحابة جـ١ صفحة ٣١٠

فقد روي أن أحد أبنائها من أبي طلحة مات وهو طفل صغير فحمدت الله واسترجعت أي قالت إنا لله وإنا إليه راجعون وقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بموت ابنه فأنا أحدثه وكان غائباً وعندما عاد قرّبت إليه الطعام والشراب ثم لبست وتزينت له أحسن مما كانت تصنع من قبل ذلك فجامعها فعند ذلك قالت له أرايت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم (أي أعطوا شيئاً خاصاً بهم) أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهّم أن يمنعوهم فقال الرجل لا فقالت له احتسب ابنك عند الله فقد استرد عاريته فغضب أبو طلحة وذهب وشكاها إلى رسول الله ﷺ ويسترشد منه هل ما فعلته حسناً فقال له رسول الله ﷺ بارك الله لكما في ليلتكما واستجاب الله ذلك قيل فأذنا الله تعالي لها أن تحمل من ذلك اليوم وولدت ولداً سماه الرسول الله ﷺ عبد الله فقيل رزقهما الله عشرة من الولد كلهم يحفظون القرآن الكريم جزاء صبرهما.[1]

بشارتها بالجنة

قال ﷺ رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وشهدت رضي الله عنها كثيراً من الغزوات مع رسول الله ﷺ وكانت تحمل خنجراً وتقاتل في صفوف الصحابة وتضمد جراحهم. فرض الله عنها.[2]

١- صفة الصفوة جـ٣ صفحة ٢٥

٢- سيرة بن هشام جـ٢ صفحة ١١٥

السيدة مريم بنت عمران رضي الله عنها

هي السيدة البتول مريم بنت عمران ويصل نسبها إلي سيدنا داود عليه السلام وأما أمها فهي حنة بنت فاقود وكانت صالحة تقية.

قصة ميلاد مريم

كانت أم مريم عاقراً لا تلد فروي أنها رأت طائراً ذات يوم يحوم حوله فرخه فتمنت الولد واشتهت أن يرزقها الله الولد ودعت الله بخشوع أن يحقق لها رغبتها فاستجاب الله دعاءها وحقق رغبتها وحملت وعند ذلك وهبت ونذرت ما في بطنها خالصاً لعبادة الله والقيام بخدمة بيت المقدس هذه هي وصية الأم أما عن الأب.[1]

فكان عمران أبو مريم رجلاً عظيماً بين العلماء في بني إسرائيل والظاهر أن عمران قد توفي وابنته صغيرة تحتاج إلي من يكفلها ويقوم بشأنها فلما قدمتها أمها إلي رعاة الهيكل اختلفوا فيمن يقوم بكفالتها من أجل ذلك أجروا القرعة بينهم فخرجت من نصيب زكريا عليه السلام كان زكريا زوجاً لخالة مريم وفي أثناء رعايته لمريم كان يجد عندها رزقاً من رزق الله لم يأتها به ولا وجود له عند الناس في ذلك الوقت فيسألها قائلاً يا مريم أن لك هذا؟ (أي من أين لك هذا الطعام؟) الذي لم آتيك به فتجيبه قائلة. هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. وهكذا تفرغت مريم لخدمة بيت المقدس وتنظيفه وتفرغت للعبادة وانقطعت إليها هكذا نشأت مريم علي الطهارة والبعد عن الدنس ودامت علي ذلك فنشأت مريم نشأة طهر وعفاف وبعداً عن الإسفاف مكلوءة بعناية الله محروسة بحراسته.[2]

١- كتب العهد القديم والعهد الجديد.
٢- تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٧٥ بتصريف يسير.

فلما بلغت مبلغ النساء وجُدت وقتاً في خلوة فلم ترع إلا بالملك جبريل عليه السلام الذي أرسله الله عز وجل إليها جاءها علي صورة فتي فأخذها الرعب وظنته يرُيد بها سوءاً فاستعاذت منه ووصفته بعدم التقوى قائلة إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا.[1]

فأعلمها أنه مرسل من الله تعالي ليهب لها غلاماً زكياً فأخذها العجب من ذلك إذ كيف يكون لها ولد وهي لم يمسها أحدٌ من الناس فهون عليها الأمر وأحال علي قدرة الله تعالي وهو الذي لا يعجزه شيء ونفخ في جيب درعها فإذا هي حامل.

وفي بعض الآيات القرآنية الكريمة عبر الله عز وجل بالروح الذي جاءها بالملائكة بلفظ الجمع والجميع ليس مقصوداً ولكن المقصود أن الذي كلمها كان من ذلك الصنف من خلق الله بدليل قوله بعد ذلك (قال كذلك) بالإفراد وكان فيما أخبرها الملك به أن أبنها يسمي بالمسيح عيسي بن مريم وأنه يكون وجيها في الدنيا والأخيرة وأنه يكون من المقربين وأنه يكلم الناس في المهد وكهلاً للإشارة إلي أنه يكلمهم في المهد بكلام إنما يصدر مثله ممن كان كهلاً وإن الله سيعلمه الكتابة والحكمة والتوراة ويعطيه الإنجيل أي البشارة.[2]

١- دائرة المعارف للبستاني جـ٢ صفحة ٢١٥

٢- الفارق بين الخالق والمخلوق للباجي ص ٩٥

فضائل مريم عليها السلام ورضي الله عنها

روي عن أنس أنه قال رسول الله ﷺ حسبك من نساء العالمين بأربع (مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد).(١)

روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال خط رسول الله ﷺ أربع خطوط فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ أفضل نساء أهل الجنة (خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون).(٢)

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال. قال رسول الله ﷺ كملَ من الرجال كثير ولم يكمُل من النساء إلا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة علي النساء كفضل الثريد علي سائر الطعام.(٣)

من الملاحظ في هذه الأحاديث الثلاث السالفة الذكر نجد أن مريم وآسية وخديجة وفاطمة من أفضل نساء الجنة ولعل المراد بذلك في زمانها فإن كلا منهما كفلت نبياً في حال صغره فآسية امرأة فرعون رضي الله عنها كفلت نبي الله موسى عليه السلام.

ومريم بنت عمران رضي الله عنها كفلت ولدها عبد الله ورسوله عيسي عليه السلام وأما خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها خدمت رسول الله قبل البعثة خمسة عشرة سنة وبعدها أزيد من عشر سنين وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها رضي الله عنها وأرضاها.

١- رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عبدة عن هشام عن قتادة عن أنس بن مالك.
٢- رواه النسائي من طرق داود أبي هند ورواه بن عساكر من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي داود.
٣- رواه الجماعة الا أبي داود من طرق شعبه وهذا لحديث صحيح اتفقا الشيخان علي إخراجه.

وأما فاطمة بنت رسول الله ﷺ فإنها خصت بمزيد فضيلة علي أخواتها لأنها أصيبت برسول الله ﷺ وبقيت أخواتها متن في حياة النبي ﷺ وأما عائشة كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ .

والراجح في السيدة مريم أنها وليه تقية عابدة زاهدة من العابدات الصالحات وليست نبيه لأن النبوة خاصة بالرجال فرضي الله عنها وأسكنها الفردوس الأعلى.

وأنه سيكون أية للناس علي قدرة الله تعالي ورحمة منه لعباده إذ نصب لهم به سبيل الخلاص مما هم فيه من أحوال يرتكسون فيها إذ كان اليهود قد صاروا إلي المادية وتجاوزوا حدود ولم يرعوا كتابه فأحلو حرامه وحرموا حلاله فجاء لهدايتهم وردهم عن ضلالهم.

ومن المعلوم أن مريم عليها السلام رضي الله عنها هي المرأة الوحيدة التي ذكرت باسمها في القرآن الكريم صراحة وذلك ليبطل إدعاء من يزعم أن عيسي ابن الله وأن مريم زوجة الله تعالي الله عما يقولون علواً كبيراً فالله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فرضي الله عنها.

حديث القرآن الكريم عن مريم والمسيح

إن لمتصفح لكتاب الله عز وجل القرآن الكريم ليجد أن السيدة مريم ورد ذكرها في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة ونبي الله عيسي ﷺ بلفظ المسيح تارة وهو لقب له وبلفظ عيسي وهو اسمه العلمي وبكنيته ابن مريم في ثلاث عشرة سورة في القرآن الكريم في ثلاث وثلاثين أية ونضع جدول يوضح هذه السور وتلك الآيات من أجل التيسير علي القارئ.

اسم السورة	رقم السورة	عدد الآيات	رقم لآيات	مريم	
آل عمــــــران	٣	٤	٣٦		مدنية
			٣٢		
			٤٣		
			٤٤		
النســــــاء	٤	١	١٥٦		مدنية
المؤمــــــنون	٢٣	١	٥٠		مكية
مــــــــريم	١٩	٢	١٦		مكية
			٢٧		
الزخــــــرف	٣٤	١	٥٧		مكية
الــــــتحريم	٦٦	١	٠١٢		مدنية

ورد ذكر مريم في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة في ستة سور من القرآن.

جداول الآيات التي ذكر فيها سيدنا عيسى عليه السلام

اسم السورة	رقم السورة	عدد الآيات	أرقام الآيات	المسيح	عيسى	ابن مريم
الأنعام	٦	١	٨٥		-	
التوبة	٩	٢	٣٠	-		
			٣١	-		-
مريم	١٩	١	٣٤		-	-
المؤمنون	٢٣	١	٥٠			-
الأحزاب	٣٣	١	٧		-	-
الشورى	٤٢	١	١٣		-	
الزخرف	٤٣	٢	٥٧		-	-
			٦٣		-	
الحديد	٥٧	١	٢٧			-
الصف	٦١	٢	٦		-	-
			١٤		-	-
		٣٣		١١	٢٥	٢٣

هذه الآيات التي ورد فيها ذكر مريم عليها السلام ونبي الله عيسى عليه السلام رجعنا إلى المعجم المفهرس بالألفاظ القرآن الكريم (أ/ محمد عبد الباقي).

والفهرس الذي صنفه الدكتور / فلوجل العالم الألماني.

جدول ارقام الآيات التى ذكر فيها سيدنا عيسي عليه السلام

اسم السورة	رقم السورة	عدد الآيات	ارقام الآيات	المسيح	عيسي	ابن مريم
البقــــرة	٢	٣	٨٧	-	-	-
			١٣٦		-	
			٢٥٣		-	-
آل عمـــران	٣	٥	٤٥	-	-	-
			٥٣		-	
			٥٥		-	
			٥٩		-	
			٨٤			
النســـــاء	٤	٤	١٥٧	-	-	-
			١٦٣		-	
			١٧١		-	-
			١٧٢	-		
المـــــائدة	٥	٩	١٧	٢		٢
			٤٦		-	-
			٧٢	٢		-
			٧٥	-		-
			٧٨	-	-	-
			١١٠		-	-
			١١٢		-	-
			١١٤		-	-
			١١٦		-	-

مؤمن آل فرعون

خلص فرعون والملأ نجياً يأتمرون نبي الله موسى عليه السلام من أجل قتله وإهلاكه ولما كان الحق لا يعدم نصيراً قام رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه بموسى إلي ذلك الحين ودافع عن موسى دفاعاً يشكره الله له وأبلى في ذلك بلاء حسناً وبين لهم أنه لا ينبغي أن يقتلوا رجلاً يقول ربي الله لأن قوله ذلك لا يصبح سبباً للقتل وبخاصة إذا كان قد جاءهم بالآيات الدالة علي صدقه وأنه لو فرض أنه كاذب فيما يقول ما نالهم ضرر من كذبه ولا يحملون شيئاً من إثمه ولو فرض أنه[1] كان صادقاً أصابهم بعض الوعيد الذي توعدهم به وقد عارضه فرعون فيما رأي ووجه أقواله إلي الملأ ينتصر بهم علي مرضته قائلاً: قرآن الما أريكم إلا ما أري وما أهديكم إلا سبيل الرشاد عاد مؤمن آل فرعون إلي الكلام محذراً قومه بأس الله تعالي ووقعاته في أمم عاد وثمود وقوم نوح وغيرهم ممن انتقم الله منهم جزاء وفاقاً بما صنعت أيديهم وذكّرهم بأن الدعوة التي جاء بها موسى اليوم ليست جديدة فقد جاء إلي آبائهم وإليهم ضمنا يوسف بالبينات. فلم ينل تصديقهم إياه حتى إذا هلك قالوا ألن يبعث الله من بعده رسولاً وأبان لهم أن ذلك من طبع الله علي قلوبهم وإمساكه تعالي عن هدايتهم هداية موصلة بالفعل إلي المقصود وان الله لا يهمل الحسنات ولا السيئات بل يجازي علي كل شيء وأن المؤمنين لهم الجنات يرزقون فيها بغير حساب.

تمادي قومه وجهدوا أن يردوه إلي دين قومه فلامهم علي أنه يريد بهم السعادة وهم يريدون له الشقاء الدائم فهو يدعوهم إلي الإيمان وهم يدعونه إلي الشقاء والكفر بالله تعالي العزيز الغفار وأن الآلهة التي يدعونه إلي عبادتها لا تنفع في الدنيا ولا تشفع في الآخرة.[2]

١- تاريخ بن الأثير جـ١ صفحة ١٨٢
٢- مرجع سابق

وأن المرد إلي الله تعالي وأنه سيأتي عليهم وقت يذكرون فيه نصحه إياهم وأنه يفوض أمره إلي الله ولقد هموا به كما هموا بنبي الله موسى ﷺ فوقاه الله سوء عملهم وكانت عاقبته السعادة والفوز بالجنة وعاقبة آل فرعون النار.

وهذا الرجل المؤمن أدي ما عليه أمام الله وأمام دينه وأمام ضميره وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر.(1)

وهذا من أعلي مراتب الجهاد فإن فرعون لا أشد جوراً منه وهذا الكلام لا أعدل منه لأنه فيه عصمة نبي(2) وقد قص علينا القرآن الكريم أمر هذا الرجل ليكون فيه عبرة وعظة له قال تعالي:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾(3)

وفي آية أخرى يقول الحق:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾(4)

هذا هو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أما إذا جئنا إلي التوراة لنذكر طرفاً منها.

1- البداية والنهاية ابن كثير جـ1 صفحة 211
2- هذا الحديث ضعيف رواه أحمد في رواية طويلة في مسنده جـ3،9 صفحة 99 ط الحلبي جـ2 صفحة 438 ط الحلبي ورواه الترمذي 2173/13/34 ولفظه أن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ورواه السيوطي أيضا في الفتح الكبير جـ1 صفحة 208 تقريب التهذيب جـ2 صفحة 34 رقم 216 المغني في الضعفاء ج، 2 4139/436
3- سورة غافر 28
4- سورة غافر 38

فإننا نجدها لم تذكر إئتمار القوم بموسى لقتله ولا مسألة مؤمن آل فرعون ودفاعه عن نبي الله موسى عليه السلام وتذكيره قومه بيوسف لأن القوم نسوا حظاً مما ذكروا به ولعل السبب في ذلك يرجع إلي حقد القوم علي فرعون وقومه صرفهم عن ذكر أحد من المصريين قد أمن نبي الله موسى عليه السلام.[1]

والله عنده العلم

وقيل إن هذا الرجل كان ابن عم فرعون وكان يكتم إيمانه من قومه خوفاً منهم علي نفسه وروي عن حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا والذي جاء من أقصى المدينة وامرأة فرعون والله عنده العلم.

١- قصص الأنبياء ابن كثير صفحة ٣٢٦

ورقة بن نوفل

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد. وأم ورقة هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي ولا عقب له.

ترك عبادة الأوثان ودرس النصرانية وقرأ كتبها وهو الذي بشر خديجة لما قال الرسول ﷺ لخديجة أني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدُق الحديث فلما وصل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ عندها ثم ذكرت خديجة له ذلك فقالت يا عتيق أذهب مع محمد إلي ورقة فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال أنطلق بنا إلي ورقة بن نوفل فقال ومن أخبرك فقال خديجة فأنطلق إليه فقصا عليه فقال ورقة أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وأنك علي مثل ناموس موسى وأنك نبي مرسل وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركن ذلك لا جاهدن معك وإذ يخرجك قومك فتعجب النبي ﷺ قائلاً أو مخرجي هم قال نعم لم يأتي رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركن يومك أنصرك نصراً موزوا.[1]

معني الناموس (قالوا ألنا مؤسس هو صاحب سر الملك وقيل سر صاحب الخير) ويلاحظ أن ورقة ذكر نبي الله موسى عليه السلام في قوله هذا ألنا موسى الذي نزل علي موسى ولم يذكر عيسي مع أنه هو الأقرب في دعوته والإجابة عن هذا أن ورقة كان قد تنصر والنصارى لا يقولون في عيسي أنه نبي يأتيه جبريل وإنما يقولون أنه يعلم الغيب ويخبر بما في غد فلما كان هذا اعتقاد النصارى الكاذب عدل عن ذكر عيسي عليه السلام.[2]

١- الروض الألف للإمام السهيلي جـ١ صفحة ٢١٦، صفحة ٢٧٣
٢- دائرة المعارف للبستاني

ولقد روي عنه قول :

لقد نصحتُ الأقوام وقلتُ لهمُ ... أنا النذيرُ فلا يغرركمُ أحد

لا تعبدَن آلهاً غير خالقكم ... فإن دعوكم فقولوا بيننا جدد

سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له ... وقبلنا سَبَّح الجُوديُّ والجَمُدُ

مسخر كل ما تحت السماء له ... لا ينبغي أن يناوي ملكه أحد

لا شيء مما تري تسري تبقي شاشته ... يبقي الإله ويؤدي المال والولد

الحلم ثغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح به ... والإنس والجن فيما بينها مرد

أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد

حَوْضُ هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من وروده يوما لا وردوا[1]

ونسب إليه أيضا قوله:

يا للرجال لصرف الدهر ... وما شيء قضاه الله من غير

حتى خديجة تدعوني لأخبرها ... أمرا أراه سيأتي الناس من أخرُ

فخبرتني بأمر قد سمعت به ... فيما مضي من قديم الدهر والعُصرُ

بأن احمد يأتيه فيخبره ... جبريل أنك مبعوث إلي البشر

فقالت عَلَّ الذي ترجيني يُخبره ... لك إلا له فرجَي الخير وانتظري

وأرسلته آليا كي نسأله ... عن أمره ما بري في النوم والسهر

فقال حين أتانا منطقا عجباً ... يَقِفُ منه أعالي الجلد والشَعرُ

إني رأيت أمين الله واجهني ... في صورة أكملت في أهيَبَ الصور

ثم استمر فكان الخوف يَذعرني ... مما يُسلمُ من حولي من الشجر

١- السيرة النبوية لابن هشام جـ١ صفحة ٨٥

فقلت طني وما أدري أيصدقني أن سوف تبعث تتلو مُنْذلُ السور

وسوف أبليك إن أعلنت دعوتهم من الجهاد بلا منَ ولا كدر[1]

بشارته بالجنة

قال ﷺ لقد رأيت القس في الجنة وعليه ثياب الحرير لأنه أمن بي وصدقني.

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال لرجل سب ورقة أما علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين وهذا الحديث أسنده البخاري.[2]

هذين الحديثين يدلان بظاهر لفظهما يد لان علي أن ورقة بن نوفل أمن برسول الله ﷺ وإلا ما كان بشره الرسول بالجنة. فرضي الله عنه.[3]

١- السيرة النبوية لأبن هشام جـ١ صفحة ٨٥

٢- الروض الأنف مصدر سابق.

٣- المبشرون بالجنة طه عبد الرؤوف سعد وبدوطه بدوي صفحة ٤١



امرأة من أهل الجنة
امرأة تصرع

أخرجا في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح قال. قال ابن عباس رضي الله عنهما ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت بلي قال هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي فقال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك فقالت أصبر فأني أتكشف فادع الله لا أتكشف فدعا لها.[1]

فهذه الصحابية الجليلة والسيدة المؤمنة قدا أصُيبت بمرض عضال ثقيل علي النفس ألا وهو مرض الصرع. وهو مرض عصبي ينتج من تهيج خلايا بالمخ ويتميز بحصول نوبات تشنجات في جميع أعضاء الجسم وخروج ريم أحيانا ما يكون مدمماً نتيجة قرس اللسان بالأسنان ويعقب التشنجات تقلص في جميع عضلات الجسم لمدة قصيرة يتبعها ارتخاء العضلات ودخول المريض في نوم عميق ويكون أثناء النوم غائباً عن الوعي تماماً لا يدري إطلاقاً ما يحدث ولكن بعض الحالات النفسية المسماة بالهستريا العصبية تتشابه في أعراضها الظاهرة الصرع هذا هو وصف مرض هذه السيدة من وجهت الطب.

فقد عانت كثيراً من جراء هذا المرض اللعين وأصبحت لا تستطيع أن تتحمل وطنته فجاءت إلي النبي ﷺ شاكية باكية وخاصة أن حالة الصرع عندما تلم بها وتفاجنها تقع علي الأرض فربما انكشف منها شيء وعند فواقها تجد نفسها في حرج فتحزن النفس ويتألم القلب وينفطر الفؤاد.[2]

١- صحيح البخاري وصحيح الإمام مسلم وورد هذا الحديث أيضا في النسائي ومسند الإمام أحمد والبزار.
٢- زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم الجوزي جـ٣ صفحة ٦٨ بتصريف يسير.

فلمـا ذهبـت لطبيـب الأطـباء ومعلـم البشـرية جمعـاء سـيد ولـد آدم علـيه أفضـل الصـلاة والسـلام وطلبـت مـنه أن يدعـو لهـا لـم تكـن جـزعة مـن المـرض ولكن أرادت العافية فخيرها النبي ﷺ [1] بين أمرين.

فقـال لهـا إن شـئت صـبرت ولـك الجـنة وإن شـئت دعـوت الله لـك أن يعافـيك. فـي هـذه اللحظـة التـي سـمعت رسـول الله ﷺ وهـو يقـول لهـا هـذا صـار القلـب فـرحاً ونسـيت الـنفس آلامهـا وتـوارت الأحـزان خجـلاً مـن هـذه البشـرة العظيمة.

وكأنـي بهـا وهـي تـرد مـتلهفة عجـلاً قائلـة لا يـا رسـول الله أصـبر علـي هـذا الـبلاء العظـيم ثـم سـكتت لحظـة واحتبسـت أنفاسـها واسـتدركت قائلـة إنـي أتكشـف أي عـندما يعاودنـي نوبـة الصـرع وأقـع علـي الأرض يتكشـف شـيء مـن جسـدي فـادع الله ألا أتكشـف فدعـا الله لهـا، ومـن العجيـب أن هـذه السـيدة الفاضـلة رضـوان الله علـيها أنهـا حينما كانـت تأتـيها الحالـة لـم ينكشـف شـيء مـن جسـدها لمـا كـان ينكشـف مـن قـبل وهـذا مـا وصـفه لـنا مشـاهدوها فاختـارت الصـبر علـي المـرض والفـوز برضـا الله والجـنة. فرضـي الله عـنها إلـي يـوم البعث العظيم.[2]

١- زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم الجوزي جـ٣ صفحة ٦٨ بتصريف يسير.

٢- الطب النبوي ابن قيم الجوزية صفحة ٥١ بتحقيقه أ.د/ عبد النبي عبد الخالق.

وقفات

من المعلوم أن الصرع نوعان صرع من الأورام الخبيثة الأرضية وصرع من الأخلاط الرديئة وهذا النوع الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه.

وأما صرع الأرواح فأئمة الأطباء وعقلائهم يعترفون به قديماً وحديثاً ويعترفون بأن علاجه مقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة فتدفع آثارها وتعارضُ أفعالها وتبطلها وقد نص علي ذلك أبقراط في بعض كتبه وقدماء الأطباء كانوا يسمون هذا النوع من الصرع المرض الإلهي وقالوا إنه من الأرواح هذا عن القدماء من الأطباء ومن نحا نحوهم وسار علي طريقهم.

أما علماء الإسلام فقد برعوا في هذا المجال وأصبح لهم فيه شانا عظيماً كغيره من العلوم والمعارف فقالوا أن علاج هذا النوع يكون بأمرين.

الأمر الأول : من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلي فاطر الأرواح وباريها جله جلاله وتعالت عظمته وسلطانه.

الأمر الثاني: من جهة المعالج أن يكون علي صلة بالله عز وجل وأن يكون قوي الإيمان ولنا الأسوة في النبي ﷺ .

فكان يقول أخرج عدو الله أنا رسول الله فتخرج الروح الخبيثة ويفيق المصروع ولو كشف الغطاء لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى مع هذه الأرواح الخبيثة وهي في أسرها وقبضتها سوقها حيث شارت ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها.(١)

١- الطب النبوي لابن القيم الجوزية صفحة ٥٤،٥٥ بتصريف يسير بتحقيق محمود فرج العقدة من علماء الأزهر وطبيب عادل الأزهري.

وأما صرع الأخلاط فهو علة تمنع الأعضاء النفسية عن الأفعال والحركة والأنصاب وإذا عرف هذا فهذه المرأة التي جاء بها أنها كانت تصرع وتتكشف يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع فوعدها النبي ﷺ الجنة يصبرها علي هذا المرض ودعا لها لا تكشف وخيرها بين الصبر والجنة وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان فاختارت الصبر والجنة ويجوز أن يكون من جهة الأرواح.

وقد خيرها فاختارت الصبر والستر والله أعلم وكل مصاب بمرض عضال له أسوة في هذه السيدة الفاضلة وليصبر صبراً جميلاً وليعلم أن عاقبة الصبر فلاح ونجاح وصدق الله لعظيم إذ يقول إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. (١)

١- الطب النبوي ابن القيم الجوزية صفحة ٥٤،٥٥ بتصريف يسير بتحقيق محمود فرج العقدة من علماء الأزهر وطبيب عادل الأزهري.

غلام يتحدي دولة

(قال الإمام احمد بسنده عن صهيب) أن رسول الله ﷺ كان فيمن قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبر سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فكان إذا أتي الغلام علي الراهب سمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتي الساحر ضربه وقال ما حبسك.

وإذا أتي أهله ضربوه وقالوا ما حبسك، فشكا ذلك إلي الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر قال فبينما ذات يوم إذا أتي علي دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا. (معني يجوزوا يمروا في الطريق).

فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلي الله أم أمر الساحر قال فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضي من أمر الساحر فأقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها ومضي الناس فأخبر الراهب بذلك فقال. أي بنيَ أنت أفضل مني وأنك ستبتلي فإن ابتليت فلا تدل علي؟

فكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفيني ولك ما ها هنا أجمع فقال: ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل فإن أمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه ثم أتي الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك. يا فلان من رد عليك بصرك؟[1]

١- تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٣٢٥

فقال ربي فقال أنا قال: ربي وربك الله قال ولك رب غيري قال. نعم ربي وربك الله فلم ينزل يعذبه حتى دل على الغلام فبعث إليه فقال أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمة والأبرص وهذه الأدواء قال ما أشفي أحد إنما يشفي الله عز وجل قال أنا قال لا قال أو لك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتي بالراهب فقال أرجع عن دينك فأبي فوضع المنشار في مفرق (معنى مفرق وسط الرأس).

رأسه حتى وقع شقاه إلي الأرض (أي نصفه لأن الشق من كل شيء نصفه) وقال للأعمى ارجع عن دينك فأبي فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلي الأرض وقال للغلام أرجع عن دينك فأبي فبعث به مع نفر إلي جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه فدهدهوه (أي دحرجوه لأنه يقال هدهدت الحجر إذا دحرجته) فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال اللهم أكفيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال له: ما فعل أصحابك فقال كفنيهم الله تعالي فبعث به مع نفر في قرقور (القرقور هو السفينة) فقال إذا الججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام اللهم أكفيهم بما شئت فغرقوا أجمعون.

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك فقال كفنيهم الله تعالي ثم قال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به فإن أنت فعلت ما أمرك قتلتني وإلا فإنك لا تستطيع قتلي قال: وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي (الكنانة هي جراب من جلد تحفظ فيه السهام) ثم قل: بسم الله رب الغلام فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال

بسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده علي موضع السهم ومات.

فقال الناس أمنا برب الغلام فقيل للملك أرايت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك.

قد أمن الناس كلهم فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد (الأخدود الشق والجمع أخاديد) أضرمت فيها النيران وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فاقحموه فيها قالوا كانوا يتعاورون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست (تقاعست تأخرت) أن تقع في النار فقال الصبي اصبري يا أماه فإنك علي الحق.(١)

إن معركة العقيدة موجودة منذ القدم ومنذ وجود الجنس البشري وإن موقف إبليس لعنه الله من أبو البشرية أدم ﷺ لخير شاهد علي هذا وإن للحق أعونا وطلابا وللباطل جنوداً وأعوانا وإن الصراع بين الحق والباطل قائم ومازال وسيظل إلي أن تقوم الساعة وقديما كان للسحر مكانته وسيطرته ولعله كان البديل عن العلم في بعض الأحيان وأنه غالباً ما كان لكل ملك ساحراً أو أكثر يستعين بهم في سيطرته علي رعيته وتيسير أمور دولته فذات يوم تحدث أحد السحرة مع الملك وأخبره أن سنه كبر وعمره قد قارب علي الانتهاء وما يلبث أن تغرب شمس حياته ولا بدله من خليفة يخلفهُ ويحصل علمه وعمله ووقع الاختيار علي هذا الغلام السعيد ولم يحفظ لنا التاريخ اسمه ولكن حفظ لنا عمله لأن الأعمال هي التي تخلد أصحابها وأصبح الغلام يغدو ويروح إلي الساحر ولكن في طريقه راهب رمته الأقدار في طريقه أي القدرة الإلهية.

١- أخرجه الإمام أحمد بسنده والإمام مسلم في صحيحه.

تعرف عليه وأعجبه علمه وعمله فاعتقدا معتقده وسار علي دينه وتسارعت الأيام يوما تلو الأخر وذات يوم خرجت دابة من دواب الأرض عظيمة مخيفة منعت الناس من المرور في الطريق وأصبح الناس في فزع شديد فاخذ الغلام حصاة صغيرة وأراد أن يتعرف أي العلمين أفضل علم الساحر أم علم الراهب فقال هذه العبارة التي تدل علي عمق العقيدة وقوة الإيمان فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة فقتلها فشاع أمره وأصبح له بعض الكرمات لا تقول بعض المعجزات لأن المعجزات خاصة بالأنبياء.[1]

وأراد الملك أن يتخلص منه فحاول مرة تلو الآخرة ولكنه لم يوفق لأن الله لم يُرد وأراد الغلام السعيد أن يختم حياته بهذا الصنع العظيم فدل الملك علي طريق قتله ولكن بشرط أن يجمع الناس في صعيد واحد أي في مكان قتله من أجل أن يشهدوه في لحظاته الأخيرة فاخذ الملك سهما من كنانته وقال بسم رب الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده علي موضع السهم ومات.

فآمن الحاضرون جميعاً برب الغلام ووجد الملك نفسه في مأزق ووقع فيما كان يحذر ولكن الطغيان والجبروت والظلم دفعاه إلي أن ينتقم من هؤلاء البررة وأمر بأن يخدا لهم أخدوداً وأججت فيه النار وأصبح أمام الواحد من هؤلاء رجالاً كانوا أو نساءً إما أن يتخلوا عن عقيدتهم التي ملكت عليهم قلوبهم وعقولهم أو يقذفوا في أتون هذه النار المتأججة وأصبحوا يتهافتون لأعلي النجاة بأنفسهم بل علي الموت حرقاً بالنار دون الرجوع عن عقيدتهم وتزينت الجنة لملاقاتهم وأعلنت حالة التأهب القسوة بين الملائكة من أجل استقبال أرواح هؤلاء الشهداء السعداء.

١- تفسير القرآن العظيم للعلامة بن كثير جـ٤ صفحة ٤٩٣

وها هي أم تحمل فلذت كبدها وحدثتها نفسها أن ترجع ولكن الوليد الصغير الذي كان في مرحلة المهد نطق بقدرة الله الواحد القهار قائلاً لها اصبري يا أماه فإنك علي الحق ألم نقل إن للحق أنصاره وللطغيان أعوانه فرضي الله عن هؤلاء وأمثالهم ومن إقتداء بهم إلي يوم العرض العظيم وإن للطغاة موقفاً ينالون فيه العقاب من رب الجزء والعطاء حديث القران عن أصحاب الأخدود:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴿٣﴾
قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾
وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن
يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾[١]

١- سورة البروج ١-٨

ماعز والغامدية

روى الإمام مسلم رحمه الله عن عبد الله بن يزيد عن أبيه أن ماعز بن مالك الأسلمي أتي الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله أني قد ظلمت نفسي وزنيت وأني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله أني قد زنيت فرده الثانية فارسل رسول الله ﷺ إلي قومه فقال أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئاً فقالوا ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا فيما نري فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضاً فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم.

فجاءته الغامدية فقالت يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني وإنه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك أن تردني كما ردت ماعزاً فو الله إني لحبلي قال أما لا فأذهبي حتى تلدي فلما ولدت أتته بالصبي في خرقه قالت هذا قد ولدته قال أذهبي فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلي رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلي صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمي رأسها فتنضح (أي ترتش وانصب) الدم علي وجه خالد فسبها فسمع نبي الله ﷺ سبه أياها فقال مهلاً يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تأبها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلي عليها ودفنت.[1]

لقد كان المسلمون الأوائل إذا أصاب أحدهم نزغ من الشيطان فاقترف خطيئة أوجد ما تحرك الوزاع الديني في نفسه واحس بفداحة جريمته وخطورة معصيته وخاف ربه وعذابه.

١- رواه الإمام مسلم في صحيحه.

فيبادر بالتماس الطهارة من ذنبه ويتقدم طالباً أن يتطهر من المعصية وأن ينال جزاءه عليها في الدنيا قبل الآخرة طالباً إقامة الحد عليه تطهراً لنفسه ولو كان في ذلك هلاك لنفسه وإزهاق روحه ولك أن تتخيل رجل يقدم إلى رسول الله ويقر بجرمه ويعترف بمعصيته أمام الرسول الرحيم وهو يعلم بإقراره هذا يُعرض نفسه لموت محقق ويرده الرسول مره تلو الآخرة ويسأل عن عقله وعن حاله.

وكان في وسع ماعز رضي الله عنه أن يستر على نفسه ويطلب المغفرة من الله ولكنه يؤثر العقاب في الدنيا أمام الإشهاد من أجل النجاة من عقاب الله في الآخرة فضرب المثل الأروع في التوبة.[1]

بشارته بالجنة

يقول رسول الله ﷺ (رأيت ماعز ينغمس في الجنة) هذا الحديث لم أقف علي تخريجه وهذا لإبراء الذمة.

وكذلك الغامدية رضي الله عنها حينما ارتكبت هذه الجريمة وردها الرسول ﷺ أول مرة فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لما ترد ني لعلك تردني كما رددت ما عزاً. فوالله إني لحبلي فلما رأي المعصوم ﷺ إصرارها على إقامة الحد وتأكيد اعترافها وأنها حُبلى أمهلها حتى تلد وهنا نقف هذه السيدة الفاضلة التي قلما يجود الزمان بمثلها تمكث في بيتها أو في بيت وليها تسعة أشهر كاملة وهي مدة الحمل لم تفكر أن تتراجع عن رأيها أو تغير تفكيرها بل كانت كل لحظة تمر عليها من مدة حملها تزيدها إصراراً على إصرارها من أجل أن تقف أمام الرسول ﷺ من أجل إقامة حد الله عليها.

١- البداية والنهاية لابن كثير جـ٦ ص ٢٦٥

فلما أن الله لها آن تضع جنينها حملتهُ مسرعة إلي الرسول قائلة له هذا ابني فقال لها أذهبي به حتى يستغني عنك وظل الطفل عامين كاملين وكان كل يوم يمر عليها كالدهر من الزمان وانتظرت بفارغ الصبر[١] حتى حان الوقت وجاءت لحظة الوفاء فحملت طفلها وفي يده كسرة خبز وجاءت به مسرعة إلي الرسول الأمين وقالت يا رسول الله لقد استغني عني فأمر بالوليد فأخذه منها وحفر لها حفرة إلي صدرها ورجمت فلما نضح الدم علي وجه خالد بن الوليد سبها فأراد الرسول أن يكرمها ويضع علي صدرها نيشان فقال مهلاً يا خالد وأقسم النبي قسماً مغلظاً قائلاً والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس.

(وهو العشار والمكس من أقبح الذنوب لكثرة مطالبات الناس له وتكرر ذلك منه وأخذ أموال الناس بغير حقها وغلب استعماله مما يأخذه أعوان الظالمين عند بيعهم وشرائهم) لغفر له ثم أمر بها فصلي عليها ودفنت فرضي الله عنها إلي يوم الدين.

فهذا نموذج نقدمه لبني الإنسان حينما يلم به أمر ويضعف أمام نفسه وشهواته فلا ييأس ولا يقنط من رحمة ربه ولا يخجل من بني جنسه بل يعترف بجرمه أمام الناس إن كان في ذلك راحة لنفسه وأمام ربه ويتوب وينوب إليه ويقف علي باب ربه.[١]

١- مرجع سابق بتصريف يسير.

امرأة لوط

قال تعالي:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾(١)

في مسيرة البشرية علي درب الإيمان والحق قد تتهيأ الفرصة أمام أقرب الناس من داعية الحق للإيمان ولكنه لا يؤمن وقد يكون العكس فامرأة نوح وابنه برغم أنهما من أقرب الناس إلي نبي الله نوح عليه السلام إلا أنهما لم يؤمنا وها هي امرأة نبي من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين امرأة لوط ذلك النبي الذي أرسله الله إلي قومه وكانوا من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية وأرادهم مسيرة وسيرة ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي إتيان الذكران من العالمين وترك ما خلق من النساء لعبادة الصالحين فدعاهم نبي الله لوط عليه السلام إلي عبادة الله تعالي وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش والمنكرات والأفاعيل المستقبحات مضي لوط في دعوته وتبليغ رسالته التي كلفهُ الله بإبلاغها لهم ورأت امرأته وكانت تسمي (واعلة) زوجها لوط وهو يكفهم عن الباطل الذي كانوا عليه:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾(٢)

١- التحريم ١٠

٢- الأعراف ٨٠-٨١

لأنهم كانوا في درك من سيئ الأخلاق لم تعهد البشرية لها قرار في دعوة لوط لهم ففكر القوم كيف يصرفون لوطاً عن دعوته وجلسوا يتدبرون الأمر فسمعتهم امرأة عجوز منهم فابتسمت ابتسامة شيطانية.

وقالت لهم سوف أدلكم على الثغرة التى تتصدون بها لدعوة لوط وسألوها في شغف عن تلك الثغرة؟ قالت: طريقكم إلى أبطال دعوة لوط امرأة لوط فاتسعت أعين القوم حين سمعوا ذلك واقتربوا أكثر من العجوز الماكرة وسألوها كيف قالت لهم: حين تشاركم امرأة لوط فيما تفعلون تُبطل دعوته لكم ولكن واحداً من القوم أجابها أنت أيها العجوز تعلمين أنه لا إرب لنا في النساء، أجابت العجوز أنا أعلم ذلك فقال لها ثاني وما شأن امرأة لوط إذن بأمر كهذا أجابته: شأنها شأني فقال لها ثالث إذن تريدين أن تدلنا زوجة لوط على ما نريد من الرجال كما تفعلين. ولمعت عين العجوز بفرح شيطاني وهي تقول له: أجل أجل كانت امرأة لوط تقوم ببعض شأنها في البيت حين دقت عليها تلك العجوز الباب فمضت وفتحته لها فإذا بها أمام امرأة جاوزت المائة من عمرها بادرتها بقولها يا ابنتي هل لي في شربة ماء أروي بها الظمأ الذي أشعر به؟ فقالت لها زوجة لوط تفضلي بالدخول حتى أحضر لك الماء فلما أحضرت لها الماء سألتها آلك زوج قالت نعم زوجي لوط فأدارت العجوز وجهها في أرجاء ذلك البيت الصغير وهذت رأسها في أسي مفتعل وهي تقول يالك من بائسة أهذا بيت وهذه معيشة أو حياة إن حياة القبور لهي أكرم من هذه المعيشة وما زالت بها حتى أغرتها بالمال الذي وجد له مكاناً في قلب الزوجة والتضلع بالخيانة والمكر والخديعة وأصبحت كلما جاء زوجها رجال أغراب أخبرت القوم وقبضت الثمن ومضت الأيام سراعاً كلما رأت رجالاً

جـاءوا إلـي لـوط أسـرعت بـإعلام القـوم بذلـك الأمـر وفـي الـيوم التالـي تأتـي إلـيها العجـوز ومعهـا قطـع الفضـة وهـي تقـول لهـا إن اسـتمر بـك الحـال علـي هـذا الـولاء والـرفض لمـا يدعـو إلـيه زوجـك تـتدفق علـيك الأمـوال الغزيـرة ثـم تعلـو وجـه المـرأة العجـوز ابتسـامة شـيطان وتنصـرف ومضـت الأيـام بلـوط ومـا زادت دعوتـه قومـه إلا عـناداً ومكابـرة وإصـراراً علـي الانصـراف لـم تعـرف البشـرية لـه مثـيل ووقفـوا يكـررون فـي وقاحـة حيـن توعدهـم لـوط بـالعذاب إن لـم يكفـوا عـن بـاطلهم[1] فـيقولون لـه أتـنا بعـذاب الله إن كنـت مـن الصـادقين سـال لـوط ربـه أن ينصـره علـيهم قـال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾.[2]

واسـتجاب الله دعـاء نبـيه لـوط عليه السلام وبعـث جـبريل وميكائـيل وإسـرافيل علـيهم السـلام لإهلاكهـم جـاءوا إلـي قـرية سـدوم فـي صـورة رجـال حسـان الوجـوه ﴿ سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴾.[3]

فلـم يكـن هـناك مـن يعلـم بقـدوم هـؤلاء الـرجال الحسـان الوجـوه غـير لـوط وزوجـته ووجـدت الـزوجة بغيـتها المنشـودة فـي مـزيد مـن المـال فأرسـلت إلـي قومهـا تخـبرهم بقـدوم هـؤلاء الـرجال ولـم يكـد يسـمع القـوم بهـذا الخـبر حـتى تسـابقوا يهـرولون إلـي بيـت لـوط كـل مـنهم يُـريد أن يـنال متعـته الرخيصـة ووصـل القـوم إلـي بيـت لـوط وإذا بالـباب موصـد وأخـذوا يقـرعونه فـي عُـنف صـائحين واتجهت الزوجة إلي لوط.

١- من قصص القرآن محمد جاد المولي وآخرون ص ٨٥
٢- العنكبوت ٣٠
٣- هود ٧٧

وقد ترك ضيوفه في الحجرة واقترب من باب الدار الموصد الذي يفصل بينه وبين قومه وزوجته ترقبه وفي قلبها سعادة غامرة لهذا الحدث ونبي الله ﷺ يُصارع هؤلاء الوحوش الآدمية التي تقودها الغريزة البهيمية في أحط صورها وقف نبي الله لوط أمام الباب يحول بين قومه وبين ضيوفه ويقول لهم: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾(1) عرض عليهم الزواج من بناته ولكنهم بكل صفاقة: ﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾(2) هنا انقطع الحوار بين لوط وبين قومه ماذا يفعل حين يقتحم هؤلاء عليه بيته وقف حائراً شارداً والزوجة ترقبه بنظرات خائفة للأمانة التي كان يجب عليها أن تتحمل مع زوجها عبء الرسالة التي يقوم بها زوجها هنا تحدث المفاجئة والتي ما لم تكن في حُسبان الزوجة الخائنة أو لم تطرأ لها علي خُلد حينما سمعت هؤلاء الرجال يقولون لزوجها: ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ ﴾(3) فأحست بخوف غامض ملك عليها أقطار نفسها وأمر لوط بأن يسري بأهله بقطع من الليل إلا امرأته لأنها ليست من أهله الذين آمنوا برسالته لأنها أعانت المفسدين ولابد أن تلقي جزائها ونزل بها ما نزل بقوم لوط لأن الباطل وأهله لا استقرار لهم ولنا في ذلك عبرة وعظة عبر الدهور والأزمان فانتقم الله من هذه الزوجة الخائنة وجعلها عبرة علي مر العصور وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ۝٨٣ ﴾(4)

١- هود ٧٨
٢- هود ٧٩
٣- هود ٨١
٤- هود ٨٢-٨٣

ابن نوح

هـذا نبـي الله نـوح ﷺ أول الأنبـياء وأطولهـم عمـراً وأول داع إلـي التوحـيد بعـد أدم ﷺ لبـث فـي قومـه ألـف سـنة إلا خمسـين عامـاً يدعـو إلـي إفـراد لله وحـده بالعـبادة سـماه الله تعالـي عـبداً شـكورا عـانده قومــه وكابـروا وأصـروا علـي ضـلالهم وطغـيانهم فعكفـوا علـي عـبادة الأصـنام والأوثـان ونصـبوا لــه العـداوة فـي كـل وقـت وأوان وتنقصـوه وتنقصـوا مـن أمـن بـه وسـخروا مـنهم وتوعدوهـم بالـرجم والإخـراج مـن الأرض والطـرد مـن الديـار ونـالوا مـنهم وبـالغوا فـي أمـرهم ومـا أمـن معـه إلا قلـيل فلمـا طالـت مـدة دعوتـه ولم يرى منهم إلا كل عناد وكفـر دعـا ربـه:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[1]

ويقول الحق في أية ا خري:

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

فـتكاثر المـاء علـي وجـه الأرض فـارتفع المـاء علـي أعلـي جـبل خمسـة عشـر ذراعـا وقـيل ثمانيـن والله عـنده العلـم وعـم جمـيع الأرض طولهـا وعرضـها سـهلها وحـزنها وجبالها وقفـار هـاو رمالهـا ولـم يـبق علـي وجـه الأرض ممـن كـان بهـا مـن الأحـياء عـين تطـرف ولا صـغير ولا كبـير وفـي هـذا الهـول المـهول.

١- سورة الشعراء ١١٨

٢- سورة القمر ١٠-١٣

ينادي نوح إبنه ليركب معه فيأبى عليه ويعصي أمره ويتمسك بكفره وعناده والقرآن الكريم يصور لنا هذا الموقف بدقة متناهية فيقول الحق:

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]

في هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم وتستيقظ في كيان نوح الأبوة الملهوفة ويروح يهتف بالولد الشارد:

﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2]

ولكن النبوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة والفتوة المغرورة لا تقدر مدي الهول الشامل قال سآوي إلي جبل يعصمني من الماء ثم ها هي ذي الأبوة المدركة لحقيقة الهول وحقيقة الأمر فارسل النداء الأخير. قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وفي لحظة تتغير صفحة المشهد فها هو ذا الموج الغامر يبتلع كل شيء وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وإننا بعد آلاف السنين لنمسك أنفاسنا ونحن نتابع السياق والهول يأخذنا كأننا نشهد المشهد وهي تجري بهم في موج كالجبال ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء والابن المغرور يأبى إجابة الدعاء وتأتي الموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء وكأن لم يكن دعاء ولا جواب.

١- سورة هود ٤٢-٤٤

٢- سورة هود ٤٢

والآن وقد هدأت العاصفة وسكن الهول واستوت علي الجودي الآن تستيقظ في نفس نوح لهفة الوالد المفجوع ونادي نوح ربه:

﴿ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ... ﴾[1]

قالها يستنجز ربه وعده في نجاة أهله وجاء الرد بالحقيقة التي ربما غفل عنها فالأهل عند الله وفي دينه وميزانه ليسو قرابة الدم وإنما قرابة العقيدة.[2]

وهذا الولد لم يكن مؤمناً فليس إذن من أهله وهو النبي المؤمن ومن خلال هذا السياق نجد أن الأب حريصاً علي هداية أبنه والنجاة به والابن مصر علي عصيانه وكفرانه في إصرار عجيب ولما خالف الابن العاق هداية السماء كان جزائه الضياع والهلاك والخلود في نار الجحيم.[3]

١- سورة هود ٤٥

٣- قصص الأنبياء ابن كثير صفحة ٢٩٥ ط مكتبة ظهران خلف الأزهر

٤- من وصايا القرآن الكريم محمد الأنور البلتاجي صفحة ٤٠٧ دار التراث العربي للنشر والتوزيع

٥- في ظلال القرآن سيد قطب جـ٤ صفحة ١٨٠ دار الشروق

حابسة الهرة

هي امرأة من حمير وهي التي قال عنها النبي ﷺ:عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت النار لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

فهذه المرأة كانت قاسية القلب متحجرة المشاعر فقد أمسكت هذه الهرة التعيسة وأغلقت عليها الباب ولم تقدم لها طعاماً تعيش عليه أو ما تقوم به أودها وتحافظ علي حياتها ولم تطلق سراحها تأكل مما ساقه الله لها من الرزق المقسوم ولم تشفع استغاثة هذه الهرة عند هذه السيدة قاسية القلب فاستحقت هذا العذاب والخلود في النار.

والإسلام دين الرحمة والتراحم ألم يقل رسول الله ﷺ في كل ذات كبد رطبة أجر ألم يقل أيضا فيما يروه عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.(١)

فهذا الحديث عام يأمر برحمة كل ما في الأرض من إنسان وحيوان لأن في رحمة هؤلاء سبباً في رحمة الله عز وجل لعباده.

بشارتها بالنار

يقول ﷺ دخلت الجنة فإذا أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ورأيت فيها ثلاثة يعذبون امرأة من حمير طوالة ربطت هرة لها لم تطعمها ولم تسقيها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض فهي تنهش قلبها ودبرها. وكان الجزاء من جنس العمل.(٢)

١- رواه أبو داود الترمزي الترغيب والترهيب للإمام المنذري جـ٣ صفحة ٤٨٥

٢- المبشرون بالجنة والمبشرون بالنار طه عبد الرؤوف سعد وبدوي طه بدوي صفحة ٨٥٩

ام جميل

هـي أروي بنـت حـرب بـن أمـية أخـت أبـي سـفيان بـن حـرب كانـت شـديدة الأذى لرسـول الله ﷺ وتقـوم بإلقـاء القمامـة أمـام داره وتجمـع الشـوك وتحملـه وتضـعه فـي طـريقه مـن أجـل إيذائـه ولمـا سـمعت مـا أنـزل فـيها وفـي زوجهـا مـن القـرآن أتـت الرسـول الله ﷺ وهـو جـالس فـي المسـجد عـند الكعـبة ومعـه أبـو بكـر الصـديق رضـي الله عـنه وفـي يدهـا فهـر (الفهـر حجـر يمـلأ الكـف) مـن حجـارة فلمـا وقفـت علـيهما أخـذ الله ببصـرها عـن رسـول الله ﷺ فـلا تـري إلا أبـا بكـر فقالـت يـا أبـا بكـر أيـن صـاحبك فقـد بلغنـي أنـه يهجونـي والله لـو وجدتـه لضـربته بهـذا الفهـر فـاه أمـا والله أنـي لشـاعرة ثـم قالـت مـز مماً عصينا، ودينه قلينا، وأمره أبينا..

ثـم انصـرفت فقـال أبـو بكـر يـا رسـول الله أمـا تـراها رأتـك، فقـال مـا رأتنـي لقـد أخـذ الله ببصـرها عنـي وكـان أهـل قـريش يسـمون رسـول الله ﷺ مـزمماً ثـم يسـبونه فكـان رسـول الله ﷺ يقـول ألا تعجـبون لمـا يصـرف الله عنـي مـن أذى قـريش يسـبون ويهجـون مـزمما وأنـا محمـد ويقـول العلامـة ابـن كثـير فـيما يـرونه عـن ابـن إسـحاق أن سـورة المسـد نـزلة فـي أبـي لهـب وزوجـته أروي بنـت حـرب. ومعنـي هـذه السـورة (أنـه لمـا دعـا أبـو لهـب لعنـه الله علـي رسـول الله ﷺ بـالهلاك والخسـارة حيـن قـال لهـذا جمعتـنا تـباً لـك يـا محمـد. فـرد الله عليه بقولـه:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾

وهـذا دعـاء بـالهلاك علـي أبـي لهـب مـا أغنـي عـنه مالـه ومـا كسـب وولد الرجل من كسبه كما جاء في الحديث.[1]

١- البداية والنهاية جـ٢ صفحة ١١٣

بشارتها بالنار

يقول الحق:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا
حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾

١- سورة المسد ١:٦

عاقر الناقة في قوم ثمود

لمـا أراد الله بـثمود خـيراً أرسـل إلـيهم نبـيه صـالح عليه السلام فبعـث فـيهم ودعـاهم إلـي عـبادة الله وتـرك ونـبذ غـيره مـن الأوثـان والأصـنام لأن القـوم كـانوا عاكفين عل عـبادتهم الـباطلة وكـانوا أهل خصب ورفاهـية حـال لمـا كـان لهـم مـن الماشـية الكثـيرة والجـنات الوافـرة الجنـي والعيون التـي يستقون مـنها هم وماشيتهم وزرعهم بدليل قوله تعالي:

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[1]

جـاءهم نبـي الله صـالح ومحضـهم نصـيحته وذكـرهم أنـواع التذكـير وخوفهـم بـأس الله فآمـن لـه المستضـعفون مـن قومـه وكفـر المـلأ مـنهم وأيـده الله مـن عـنده بآيـة معجـزة وهـي ناقـة حسـب اقـتراحهم مـن الصـخرة وإن الصـخرة تمخضـت عـنها فخرجـت مـنها سـوداء الحـدق حمـراء الوبـر خلفهـا فصـيلها وإنهـا كانـت إذا شـربت أتـت علـي المـاء فـي يومهـا ثـم تـتفحج لهـم ويـأخذون مـن لبـنها مـا يشـاءون ولمـا رأي القـوم هـذه الآيـة العظـيمة أراد أشـرافهم أن يؤمـنوا بـه فمـنعم ذؤاب بـن عمـرو ولـم يـزالوا فـي سـعة ورغـد وكانـت الـناقة تصـيف إذا جـاء الحـر بظهـر الـوادي فـتهرب مـنها مواشـيهم وتهـبط إلـي بطـن الـوادي فـي حـره وجـد بـه وإذا جـاء فصـل الشـتاء تـنزل فـي بطـن الـوادي فـتهر مواشـيهم إلـي ظهـره فـي بـرد وجـدب فاضـر ذلـك بـأموالهم للأمـر الـذي يـريده الله تعـال بهـم والـبلاء مـن الاختـبار فكـبر ذلـك علـيهم فعتوا عن أمر ربهم فأجمعوا علي عقرها.[2]

١- سورة الشعراء ١٤٩

٢- تفسير المنار

وإن امرأتين ذواتي مال وإبل يقال لأحدهما صدوق عرضت نفسها علي رجل يقال له مصدع إن قتل الناقة فأجاب وأما المرأة الآخرة تسمي عنيذه لها بنات حسان عرضت إحدى بناتها علي قذار بن سالف فأجاب واستغويا سبعة رجال فكانوا تسعة فأما مصدع فرمي الناقة بالسهم وأما قدار بن سالف فانحني إليها بسيفه فكشف عن عرقوبها ثم نحرها وذهب سبعة وراء سقيها (ابن الناقة) ففر منهم إلي الجبل فرماه أحدهم بسهم فأصاب قلبه ثم جره برجله فأنزله ونحروه ووضعوا لحمه علي لحم أمه واقتسم أهل البلد لحم الناقة وسقيها فأنظرهم نبي الله صالح بأن العذاب يحل بهم بعد ثلاث لما انتهكوا من حرمت الله فكانوا يهزءون منه ويستنجزونه ما أوعدهم به من العذاب وأنظرهم بأنهم يصبحون وجوههم مصفرة وفي اليوم الثاني تكون وجوههم محمرة وفي اليوم الثالث تكون وجوههم مسودة أية هلاكهم ثم يصبحهم العذاب.[١]

أما أولئك الذين اقترفوا عقر الناقة فقد تقاسموا بالله ليبيت صالحاً ويقتلونه وأهله ثم يقولون لو ليه ما شهدنا مهلك أهله وأنهم الصادقون فيما يزعمون فلما أرادوا تنفيذ عزمهم جاءوا إلي صالح يرصدون الفرصة للإيقاع به وأهله فأهلكهم الله وقيل أن الملائكة دمغتهم بالحجارة فأهلكتهم.[٢]

وصدق الله العظيم إذ يقول الحق:

﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ ﴾[٣]

١- تفسير المنار رشيد رضا

٢- تفسير الطبري جـ٣ صفحة ١١٥

٣- سورة النمل ٥١

طبيعة هلاك قوم صالح

يقول العلامة البيضاوى إن الذين أرادوا أن يقتلوا صالحاً ومن معه وكان صالح يُصلي في مسجده حيث كان له مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا إلي ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلي الشعب فوقع عليهم صخرة حيا لهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا آثمين وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة[1] لذا يقول الحق تعالي:

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾[2]

وكان تدمير قوم صالح بالصاعقة وقد عبر الله تعالي عنها تارة بالرجفة وتارة بالطاغية وتارة بالصيحة أما عن الرجفة فيقول الحق تعالي:

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[3]

وأما عن الطاغية فيقول الحق:

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾[4]

وأما عن الصاعقة يقول الحق:

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[5]

وأما عن الصيحة يقول الحق:

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾[6]

١- تفسير العلامة البيضاوي
٢- سورة هود ٦٧-٦٨
٣- سورة الأعراف ٧٨
٤- سورة الحاقة ٥
٥- سورة فصلت ١٧
٦- سورة القمر ٣١

وليس هنا منافاة بين هذه الآيات سالفة الذكر لان الصاعقة تكون مصحوبة بصوت عظيم وقد تكون مصحوبة برجفة أشبه بالزلزال وقد تكون في مكان ويطغي تأثيرها حتى يصل إلي مكان آخر والصاعقة عبارة عن استفراغ كهربائي يحصل بين كهربائيتين متخالفتين.

بالإيجاب والسلب فإذا دنا جسم مكهرب كهربائية موجبة من جسم مكهرب كهربائية سالبة اتحدت الكهربائيتان لما بينهما من التعاشق فيحصل عن ذلك البرق الشديد ثم الرعد بسبب اضطراب الهواء وتدافع أجزائه في كل مكان الاستفراغ وذلك هو الصيحة وإذا كان الاستفراغ أو الاتحاد في جسم مما علي الأرض فيصهر إذا كان معدنياً إلا سن فيه ويحترق إذا كان شجراً أو إنساناً ويتفتت إن كان صخراً أو بناءً ومبلغ ما تدمره منوط بمقدار كمية الاستفراغ ومبلغ قوة الكهربائيتين وعن ذلك تكون الرجفة وهو لها.

وإذا حصل الاستفراغ بين سحابتين مكهربتين بكهربائيتين بالإيجاب والسلب حصل البرق أولاً ثم الرعد ثم المطر وقد أصيب قوم صالح بهذه الصاعقة التي أهلكتهم عن بكرت أبيهم ونجّا الله نبيه صالح والذين آمنوا معه برحمته منه فقد نجوا مما حاق بقومهم من العذاب الذي أدركهم بعد ثلاثة أيام من جريمتهم فتولي عنهم وقال لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين.

فسلام الله علي نبي الله صالح ﷺ جاهد فكان خير المجاهدين ودعا إلي الله علي بصيرة فكان من خير الدعاة إلي الله عز وجل وأهلك أعدائه بما يستحقونه من العذاب وهذه سنة الله في خلقه الذين يتطاولون علي أنبياء الله في كل زمان ومكان.[1]

١- قصص الأنبياء د/ عبد الوهاب النجار ص ١٩٥

أصحاب الفيل

قال تعالي:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾[1]

روي الإمام الطبري رضي الله عنه بسنده عن ابن إسحاق قال أبرهة لما غلب علي اليمن بني كنيسة بصنعاء وكان أبرهة نصرانيا فسماها القليس وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها وقد استذل أبرهة أهل اليمن في بنائها وجشمهم فيها أنواع من الصخر وكان ينقل إليها العديد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس ملكة سبأ حيث أن القصر كان قريباً من موقع الكنيسة وكان حكمه في العامل الذي تطلع عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهي امرأة عجوز أحناها الدهر فتضرعت إليه أن يعفو عن وحيدها فأبي إلا أن يقطع يده فقالت له الأم أضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغداً لغيرك فقال ويحك ما قلت؟.

فقالت: نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك فكذلك يصير منك إلي غيرك فأخذته موعظتها وعفا وأعفي من العمل فيها بعد، وتم بناء هذه الكنيسة وجعلها أية من آيات الفن المعماري ونصب فيها الصلبان من الذهب والفضة ووضع فيها منابر من العاج والأبنوس وغير ذلك من الأخشاب المرصعة بالذهب والفضة وبالجملة جعلها تحفة معمارية غاية في الجمال والبهاء.[2]

١- سورة الفيل

٢- تفسير الطبري جـ٣ صفحة ١٧٥ بتصريف يسير

ثم كتب إلي النجاشي والنجاشي (لقب يطلق علي كل من يملك الحبشة مثل لقب فرعون ولقب خديوي).

أني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشي غضب رجل من بني تميم فخرج حتى أتي القليس (الكنيسة) فقعد فيها أي قضي حاجته من بول وبراز ثم خرج فلحق بأرضه فأخبرا برهة بذلك فقال من صنع هذا فقيل صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحج إليه العرب في مكة لما سمع من قولك أصرف إليها حاج العرب فغضب هذا الرجل لقومه فجاء إليها فقعد فيها يقصد بفعله هذا أنها ليست لذلك أهل فغضب عند ذلك إبرهة وحلف ليسيرن إلي البيت (الكعبة) فيهدمه فأجمع السير إلي البيت وأمر الحبشان (أهل الحبشة) فتهيأت وتجهزت وخرجت معه بالفيل وسمعت العرب بذلك فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج من أهل اليمن من كان من أشراف القوم وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قوم من أجابه من سائر العرب إلي حرب إبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه وخرابه فأجاب من أجاب إلي ذلك وعرض له وقاتله فهزم وتفرق أصحابه وسار إبرهة بجيشه حتى نزل المغمس قرب مكة فبعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مفصود علي خيل له حتى انتهي إلي مكة فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هشام وهو يومئذ كبير قريش وسيدها وهمت قريش وكنانة وهزيل ومن كان معهم في الحرم من سائر الناس بقتاله ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم بهم فتركوا ذلك وبعث إبرهة رجل يسمي بحناطه الحميري إلي مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ثم قل له إن الملك يقول لكم

إنـي لـم أتـي لحـربكم إنمـا جئـت لهـدم البيـت فـإن لـم تعرضـوا دونـه بحـرب فـلا حاجة لي بدمائكم فإن لم يرد حربي فأتني به.[1]

فلمـا دخـل حناطـة مكـة ذهبوا بـه إلـي عبد المطلب فقـال لـه مـا أمـره بـه إبـرهة قـال لــه عـبد المطلـب والله مـا نـريد حـرباً ومـا لـنا بذلـك مـن طاقـه هـذا بيـت الله وبيـت خلـيله ﷺ فـإن يمـنعه فهـو بيـته وحـرمه وإن يخـل بيـنه وبيـن بيته فوالله مـا عندنا لــه مـن دافـع عنه فقـال لـه حناطة أنطلـق إلـي الملـك فإنـه قـد أمرنـي أن آتـيه بـك فـأنطلق معـه عـبد المطلـب ومعـه بعـض بنـيه حـتى أتـي المعسـكر فسـأل عـن ذي نفـر وكـان لــه صـديقاً وكـان إبـرهة قـد أسـره عـند تعرضـه لــه فقابلـه وطلـب مـنه المعونـة فدلـه ذو نفـر علـي أنـيس سـائق الفـيل وأوصـاه بـه خـيراً فدخـل أنـيس علـي إبـرهة فقـال: أيهـا الملـك هـذا سـيد قـريش بـبابك يسـتأذن علـيك فلـيكلمك بحاجـته واحسـن إلـيه فـأذن لــه أبـرهة وكـان عـبد المطلـب كمـا قـال واصـفوه كـان رجـلاً عظـيماً وسـيما جسـيماً فلمـا رآه أبـرهة أجلـه وأكـرمه أن يجلـس تحـته وكـره أن تـراه الحبشـة يجلسـه معـه علـي سـرير ملكـه فـنزل ابـرهة عـن سـريره فجلـس علـي بسـاطه فأجلسـه معـه علـيه إلـي جنـبه ثـم قـال لـترجمانه: قـل لـه مـا حاجـتك قـال عـبد المطلـب أن تـرد علّـي مائتـي بعـير أصـبتها لـي فقـال لـه أبـرهة: قـد كنـت أعجبتنـي حيـن رأيـتك ثـم زهـدت فـيك حيـن كلمتنـي أتكلمنـي فـي مائتـي بعـير أصـبتها لـك وتـترك بيـتاً هـو دينك ودين آبائك؟ قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه.[2]

يقـول ابـن إسـحاق أن جـد النبـي ﷺ رد علـيه قـائلاً: إنـي أنـا رب الابـل أي أنـا صـاحب الإبـل ومالكهـا وأن للبيـت ربّ يحمـيه وسـيمعنه قـال أبـرهة: مـا كـان ليمـنعه منـي قـال: فأنـت وذاك فـرد علـيه الإبـل وانصـرف عـبد المطلـب إلي قريش فأخبرهم الخبر.

١، ٢ نفس المرجع السابق.

وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شغف الجبال والشعاب (شغف الجبل هو أعلاه) تخوفاً من معرة الجيش (معرة الجيش أذاه) ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه علي إبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة.

يا رب لا أرجو لهم سواكا　　　يا رب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا　　　امنعهم أن يخربوا قراكا

ثم أنطلق عبد المطلب ومن معه إلي شغاف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما إبرهة فاعل بمكة إذا دخلها وجاء هذا الصباح المشهود.

تهيأ إبرهة لدخول مكة وهيأ فيله وعبأ جيشه وأجمع أمره لهدم البيت ثم الانصراف إلي اليمن فلما أتموا استعدادهم وأكملوا عدتهم وجهوا الفيل أقبل عليه رجل يسمي نفيلة بن حبيب الخثعمي إلي جانب الفيل وكانوا يطلقون عليه اسم محمود فاقترب من أذنه وخاطبه قائلاً إبرك محمود وأرجع راشدا من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وضربوا الفيل ليقوم فأبي وضربوه في رأسه فلم يقم فأدخلوا محاجن (هي عصا محنية الرأس) في مراقة (مراقة هي أسفل البطن) فيذغوه بها (أي ضربوه بهذه المحاجن حتى أسالوا دمه) ليقوم فأبي فوجهوه راجعاً إلي اليمن فقام يهرول ووجهوه إلي الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلي المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلي مكة فبرك.

سبحان الله حيوان أعجم لا يعقل ولا يدرك يرفض أن يشترك في هذه الجريمة النكراء ويا ليت الإنسان يتعظ بل امتدا هذا الكافر في غيه وباطلة.

وعندما عجز الإنسان عن الدفاع عن حرم الله وبيته هنا تدخلت السماء فارسل الله عليهم طيراً من جهة البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه.[1]

مثل حبة الحمص أو العدس هذا ما ذكره بعض شهود العيان الذين شاهدوا هذه الواقعة لا يقع هذا الحجر صغير الحجم علي أحد إلا هلك وخرج هؤلاء الجند المدججون بالسلاح هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا لا يهتدون إلي طريق وقد شاهدهم أحد الأعراب وهم يفرون مذعورون كالجرذان وهو نفيل بن حبيب ورأي ما أنزل الله بهم من نقمته فانشد يقول:

أين المغرور والإله الطالب   والأشرم المغلوب غير الغالب

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون علي كل منهل فأصيب إبرهة في جسده فسقطت أنامله أنمله أنملة كلما سقطت أنملة اتبعتها مدة تمث قيحاً ودماً حتي أتوابه صنعاء وهو مثل فرخ الطير فما مات حتي انصدع صدره عن قلبه.[2]

بشارته بالنار

إن إبرهة ومن علي شاكلته من الكافرين المتعدين عل حرم الله وأمنه يدخل تحت قول الحق:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]

١- النهاية للابن الأثير جـ١ صفحة ٥٣
٢- السيرة النبوية لأبن هشام جـ١ صفحة ٦٣
٣- سورة البقرة ٢٤

ولنا وقفات

إن مما يجب أن نذكره ونفخر به أن العرب علي الرغم من وثنيتهم وعبادتهم وسجودهم لغير الله ورغم تخلفهم وتفرقهم إلا أنهم حينما علموا بناء هذا القليس أو هذه الكنيسة غضب أحدهم وأراد أن يبعث برسالة إلي أبرهة ويقول له إن كنيستك علي الرغم من جمالها وبهائها إلا أنها إذا قورنت ببيت الله الحرام لا تساوي حجرة من الأحجار التي بنيا بها هذا البيت العتيق وهذه الكنيسة لا تزيد علي أن تكون غير مرحاض يقضي الناس فيها حاجتهم هذا من ناحية ومن ناحية أخرى.

إن العرب علي الرغم من العداء المستحكم بينهم والتنافر فيما بينهم وضعفهم وقلة حيلتهم إلا أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا العدوان الذي استهدف مقدساتهم ولا سيما إذا كان بيت الله الحرام فتصدو له بكل ما أوتوا من قوة وعلي الرغم من قلة عددهم وعدتهم حاربوا جيش إبرهة ولكن لحكمة يعلمها الله عز وجل هزموا وتفرقوا ولكن أدوا ما عليهم.

ومن ناحية ثالثة أن القوة التدميرية التي لحقت بجيش أبراهة كانت قوة رهيبة ولننظر إلي قول الحق:

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾

هذه القوة التدميرية كانت أشد فتكا بهم من القنبلة الذرية أو الجرثومية أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل ومن حسن حظ البشرية أن القنابل الذرية لم تستخدم إلا مرة واحدة في الحرب العالمية الثانية حينما ألقاه الطيران الأمريكي علي مدينتا هورشيما ونكذاكي وكان وزنها أكثر من طن.[1]

١- السياسة الدولية العدد ٩٠ لسنة ١٩٨٦ صفحة ١٨٥

أما هذه الحصوات التي ألقيت علي أبرهة وجيشه كانت الحصوة أو الحجرة لا تزيد عن حجم وزن حبة العدس أو حبة الحمص وأحدثت هذا التدمير الرهيب أنه صنع الله الذي أتقن كل شيء.

ومن ناحية رابعة أن أبرهة أراد أن يعتدي علي حرم الله فلقنه الله هو ومن تسول له نفسه درساً سيبقى عبر التاريخ إلي أن تقوم الساعة وصدق رسول الله ﷺ حين قال (إن الله حرمها يوم خلق السماوات والأرض) وقوله إن الله حرم مكة ولم يحلها لأحد قبلي وأحلت لي ساعة من نهار ثم صارت محرمة إلي يوم القيامة هذا هو معني الحديث ولم نقف علي نصه (هذا للعلم).



فرعون صاحب موسى

تحقيق حول من هو الفرعون الذي كان في عهده نبي الله موسى عليه السلام عملاً بعموم قول الحق:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

فإن ما نقدمه ونعول عليه يرجع إلي كتاب قصة الولادة والرسالة والخروج لمؤلفه (أحمد يوسف أحمد أفندي المصور بدار الآثار المصرية عام ١٩٣٥م).

فيقول رحمة الله: مما لا شك فيه أن يوسف الصديق عليه السلام قد دخل مصر في عهد الأسرة السادسة عشرة في أيام أحد ملوكها المدعو (أبابي الأول) وقد وجدت لوحة أثرية عبارة عن شاهد مقبرة ذكر فيها اسم فوتي فارع، وهو المذكور في التوراة فوطيفار عزيز مصر كما استدل من بعض الآثار عن الأسرة السابعة عشرة علي حدوث جدب في مصر قبل هذه الأسرة وهو ما ذكر في القرآن عن سني القحط إذن فدخول يوسف عليه السلام يمكن تحديده قريبا من سنة ١٦٠٠ق.م في عهد الملك أبابي المذكور ويكون دخول بني إسرائيل بعد ذلك بنحو ما يقرب من ٢٧ عاماً وهي المدة التي أقامها يوسف في بيت سيدة مضموماً إليها المدة التي أقامها في السجن يُضم إلي ذلك مدة الرخاء والخصب ثم بعض مدة الجدب إلي أن قال لأخوته:

﴿ وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

وإذا أطلعنا علي حياة ملوك الفراعنة فيما بين هذه الأسرة والأسرة التاسعة عشرة لم نجد أيضا ذكراً يثبت أي اضطهاد حدث لقوم إسرائيل ولا أي ذكر لهم أثناء ذلك.(١)

١- يراجع كتاب قصة الولادة والرسالة والخروج ص ٩٥

ولكن إذا جئنا إلي التوراة نجدها تذكر أن فرعون مصر الذي اضطهد بني إسرائيل كان يستخدمهم في بناء مدينتي رعميس وفيثوم وقد ثبت من الحفائر الأثرية وجود هاتين المدينتان والمدينة الأولي تم اكتشافها بواسطة العالم الفرنسي (نافيل) سنة ١٨٨٣م.

وموضعها تل المسخوطة الآن بمحافظة الشرقية والمدينة الثانية تم اكتشافها بواسطة العالم المصري الأستاذ محمود حمزة سنة ١٩٢٨م وموضعها بلدة فنتير وتسمي بالمصري القديم خنت نفرأ والوسط الجميل.

إذا فرمسيس الثاني قد يعتبر الفرعون الذي اضطهد بني إسرائيل وولد في زمانه نبي الله موسى ﷺ ويضاف إلي ذلك عداوه الشديد للشعوب الأسيوية التي ظل يحاربها متغيباً عن مصر زهاء تسع سنوات.

وقد يكون كرهه لبني إسرائيل المقيمين في مصر مترتباً علي خشيته من أن يكونوا حزباً ممالئاً لاعدائه المواطنين لهم من قبل ولا سيما وقد تكاثروا في عددهم وتناسلوا حتى كانت لهم جالية تشمل جزءاً عظيماً من مديرية الشرقية محافظة الشرقية ومما يؤيد ذلك هذا الكشف الأثري الذي كشفه وعثر عليه العلامة فلندرس بتري وسنشير إليه في الصفحات التالية.

حيث أن الملك رعميس أي رمسيس الثاني قد أشرك ابنه الملك منفتاح معه في الحكم قبل وفاته وكان منفتاح الولد الثالث عشر لعميس وقد بلغ أولاده ١٥١ فيكون قد عاصر موسى في بيت أبيه وبحق قال لموسى لما قصه القرآن الكريم علينا: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾. ويكون منفتاح هو فرعون الخروج الذي أرسل إليه موسى وهارون عليهما السلام لإخراج بني إسرائيل من مصر وفي هذا الأثناء كان ملك مصر قد مات ويدل علي ذلك ويؤيده ما عثر عليه

العلامة (فلندرس بتري) علي حجر من الجرانيت ورقمه في دار الآثار المصرية ٥٩٩ وهو عبارة عن لوحة كبيرة يبلغ ارتفاعها ٣ أمتار و١٤سم وهو منقوش من الوجهين أحدهما للملك أمنحتب الثالث من الأسرة ١٨ يذكر فيه ما عمله لمعبد أمون.

أما الوجه الآخر فقد استعمل في شأن منفتاح بن رمسيس الثاني من الأسرة ١٩ وذكر فيه عبارات بأسلوب شعر ي يفتخر فيها بانتصاره علي اللوليبين ويشير إلي سقوط عسقلان وجيذر في فلسطين وجاء من ضمنها عبارة تشير إلي بني إسرائيل ونصها الحرفي لقد سحق بنو إسرائيل ولم يبق لهم بذر وهذا أول نص رسمي في الآثار ذكر فيه بنو إسرائيل وقد عثر عل هذا الحجر في كوم الحيتان بطيبة الأقصر.

ولكن المدقق في هذا الحجر يبدو أن منفتاح لم يكتبه في عهده وإلا لكانت لهذه الحوادث الهامة التي يذكرها فيه شأن عظيم كان يجب أن يدون في أثر خاص لأن يستعمل له حجر كان لغيره من قبل ويظهر أن الكهنة التابعين لمنفتاح هم الذي استعملوا هذا الحجر ودونوا ما به ليشيد ويذكره فيقوموا بذلك بواجب التخليد حيث لم يكن منتظر أن يموت الملك بتلك الصور المتعجلة التي مات بها وقد أرادوا أن يوهموا الناس أن فرعون قد سحق بني إسرائيل تمويها وقلبا للحقائق حتى يستروا أمام الشعب المصري الذي كان يحترم دياناتهم خذلانهم وخذلان ألهههم أمام موسى حين كان فرعون يتعقب بني إسرائيل ويكون العثور علي جثة منفتاح ووجودها الآن بالمتحف المصري مصداقا لقول القرآن الكريم:

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾

وقد وجدت الجثة مع غيرها من الجثث في قبر أمنحتب الثاني بالأقصر وظهر من آثار قبر منفتاح أنه لم يكن مهيأ كما يجب لدفن ملك مثله لأن موته لم يكن منتظراً فلم يهيأ له قبر خاص ١هـ.[1]

١- فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج صفحة ٢٠٥ المونسنيور لويس ط مايو ١٩٣٢

حديث القرآن عن فرعون

يقول الحق تعالي:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1]

لما ألح نبي الله موسى عليه السلام علي فرعون بالدعوة إلي الإيمان بالله وفرعون في ملأ قومه وذلك يكسر من هيبته ويحط من رتبته. وجه فرعون إلي القوم كلامه متجاهلاً إلا له الذي يدعوا إليه موسى وأنه سيتخذ الوسيلة للصعود إلي إله موسى ليصفي الحساب بينه وبين إله موسى ولعله فهم من قول موسى رب السماء والأرض انه موجود في السماء لأن العظيم القادر علي العلو لا ينزل إلي أسفل واوهم القوم أن الصعود إلي السماء أمر تناله قدرته فأصدر أمره إلي هامان ان يطبخ له الأجر (أي يحرق له الطوب اللبن) ويبني له صرحاً يأخذ في السماء صعداً حتى ينالها ويطلع إلي إله موسى ثم أردف ذلك بانه يظن أن موسى كاذب في أن له إلهاً سوي فرعون ولكن.[2]

يستعبد أن فرعون كان من الجهل بدرجة أن يأمل أن ينال السماء ببناء يصعده ولكنه أراد أن يتغافل القوم الذين معه حتى لا يخامر أنفسهم خلجة أو أدنى تفكير في حطه عن عرش الربوبية فأراد أن يدخل في روعهم أنه من القدرة بحيث يقدر علي منازلة كل إله ولو كان في السماء وأنه علي استعداد لمحاربة إله موسى الذي في السماء إذا كان فيها وانه يتهم موسى في وجود إله سواه.

١- سورة القصص ٣٨

٢- تفسير روح المعاني للإمام الألوسي جـ٣ صفحة ٢٧٥

وانه سيأخذ في أسباب العمل في تصفية الحساب مع ذلك الإله ولذلك أمر باتخاذ صرح يبلغ به أسباب السماوات وعهد بذلك إلي وزيره هامانَ ومع كل هذا نجد أن فرعون كان غير جاهل باستحالة هذا الأمر الذي يريده لأنه من المعلوم سلفاً أن من الناس من يذكر الفكرة عالماً بأنها مبنية علي غير أساس ثم لا يزال يخادع نفسه ونفسه تخادعه حتى يخيل إليه أن الأمر سهل الوقوع ويعلق نفسه به شأنه في ذلك شأن رجل يقال له أشعب كان مشهوراً بالطمع والبخل والجشع إذا أقبل ذات يوم والأطفال حوله فأراد أن يصرفهم عنه بحيلة أنه قال لهم يوجد عُرس في بيت فلانه وأنهم يفرقون علي الناس الدراهم فانصرفوا ظانين صدقه فتبعهم أملاً أن يكون ما قاله لهم حقاً فينال من تلك الدراهم التى تفرق في ذلك العُورس الوهمي.[1]

لم يكن في ذلك الوقت رجل صادق الفراسة يقرأ لنا أفكار الملأ من قوم فرعون هل كانوا يفكرون فكره ويترسمون خطواته فيما يخيل إليهم أو كانوا عالمين باستحالة ما يحاول وإنما يؤمنون علي قوله مجاراة له ومجاملة ينالون بها الحظوة عنده وإن كان في نفوسهم كاذباً.

كما هو شأن الكثير من المصرين في موافقة الحكام علي أرائهم وإن كانت مباينة لما يكنون في أنفسهم.

وهل فعل هامان ما أمر به فرعون وإلي أي حد بلغ في علو البناء والأم آل أمر ذلك البناء كل ذلك لم يذكره القرآن وإذا رجعنا إلي التوراة نجدها لم تذكر هذا الأمر بطريق التصريح أو الإشارة.[2]

١- تفسير الفخر الرازي جـ٤ صفحة ٣١٥

٢- إظهار الحق لرحمة الله الهندي صفحة ٦٢٠

وإنما ما ذكره المفسرون أن هامان بني لفرعون الصرح حتى بلغ نهاية ما قدر عليه من البناء ثم صعد فرعون وصوبا سهماً إلي السماء ورمي به فعاد مخضباً بالدم فقال المفتون المغرور لقد قتلت إله موسى وها هو القرآن الكر يم والسجل الخالد ذكر مجمل هذا الأمر فيقول الحق تعالي:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[1]

٢- سورة غافر ٣٦-٣٧

موضع العبور

أمـا الحديـث عـن موضـع العـبور فلـم يُعلـم بالضـبط ولكـن القـارئ للتوراة يجد أنها تورد أسماء أمكنة مر بها بنو إسرائيل حتى أتوا إلي مكان العبور وهذه الأمكنة ليست مسمياتها معروفة اليوم في البحر الأحمر تسمي ببركة فرعون ويقولون إن العبور كان بها وهي بعيدة عن السويس ولكن الاعتقاد السائد أن خليج السويس كان يمتد في تلك الأزمان إلي البحيرات المرة أو يقترب منها وهذا الخليج من تلك الناحية كان عبورهم هذا وبعبارة أخرى أنهم عبروا من مكان شمالي المكان المعروف بعيون موسى في البر الآسيوي وهي لا تبعد عنه السويس كثيرا.(١)

وعلي كل حال فالآية ظاهرة واضحة سواء كان ذلك بسبب ضرب موسى البحر وإليك أيها القارئ الكريم نصوص القرآن الكريم التي تناولت هذه الآية العظيمة والمعجزة الخارقة.

فيقول الحق:

﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾(٢)

يخبر الله عز وجل أن فرعون ومن أطاعه ومن كان معه لما عتوا وتمردوا مع ابتلائهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة انتقم الله منهم بإغراقهم في اليم والمراد به البحر الذي فرقه الله لنبيه موسى عليه السلام وبنوا إسرائيل معه ثم وروده فرعون وجنوده علي أثرهم فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها ويقول أيضا الله تعالي:

١- فرعون موسى قصة الولادة والرسالة والخروج أ/ أحمد يوسف أحمد القدي صفحة ١٠٩،١١٢
٢- سورة الأعراف ١٣٦

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ ﴾[1]

وها هي آية أخرى توضح لنا كيفية خروج فرعون وغرقه فيقول العلامة ابن كثير: إن بني إسرائيل لما خرجوا من مصر في صحبة نبي الله موسى عليه السلام أشتد حنق فرعون عليهم فارسل في المدائن حاشرين يجمعون له جنوده من أقاليم دولته فركب وراءهم في أبهة عظيمة وجيوش هائلة لما يريده الله تعالي بهم ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان في سائر مملكته فلحقوا بهم وقت شروق الشمس فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا المدركون وذلك أنهم لما انتهوا إلي ساحل البحر وفرعون وراءهم ولم يبق إلا أن يتقاتل الجمعان وألح أصحاب موسى عليه السلام عليه في السؤال كيف المخلص مما نحن فيه فرد عليهم قائلاً كلا إن معي ربي سيهديني وجاء الفرج والنجاة وعندما يضيق الأمر يتسع فامره الله أن يضرب البحر بعصاه فضربه فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل العظيم وصار أثني عشر طريقا لكل سبط طريق وأمر الله الريح فنشفت أرضه[2] يقول الحق:

﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧ ﴾[3]

١- سورة يونس ٩٠:٩٢
٢- قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢١٥
٣- سورة طه ٧٧

بداية النهاية لفرعون كما صورها القرآن الكريم

جاوز بنو إسرائيل البحر فلما خرج أخرهم منه انتهي فرعون وجنوده إلي حافته من الناحية الأخرى وهو في مائة ألف فرس أدهم سوي بقية الألوان فلما رأي ذلك هاله الأمر وأفزعه وهاب وهم بالرجوع وهيهات ولآت حين مناص نفذ القدر واستجيبت الدعوة وجاء جبريل ﷺ علي فرس وضيق حائل فمر إلي جانب حصان فرعون فحمحم إليها واقتحم جبريل وراءه ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئاً فتجلد لأمرائه وقال لهم ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منا فاقتحموا كلهم عن أخرهم وميكائيل في ساقتهم لا يترك منهم أحداً إلا ألحقه بهم فلما استوثقوا فيه وتكاملوا وهم أولهم بالخروج منه أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم فلم ينج منهم أحد وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم وتراكمت الأمواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت فقال وهو كذلك﴿ ءَامَنتُ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ فأمن حيث لا ينفعه الإيمان ولهذا قال لله تعالي في جواب فرعون حين قال ما قال:

﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝ ﴾[1]

وإذا كان هذا موقف القرآن الكريم وحديثه عن فرعون وعمله ونهايته المحتومة فإن السنة النبوية قد بينت لنا بشيء من الوضوح فيقول سعيد بن جبير فيما يرويه عن بن عباس رضي الله عنهما قال. قال رسول الله ﷺ لما قال فرعون أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل قال. قال لي جبريل لو رأيتني وقد أخذت من حال البحر فدسسته في فيه مخافة أن تناله الرحمة.[2]

١- تفسير القرآن العظيم للعلامة ابن كثير جـ٢ صفحة ٤٣٠ مكتبة دار التراث القاهرة.
٢- هذا الحديث رواه الترمزي وقال عنه حديث حسن وابن جرير والإمام أحمد بن حنبل وأبي داود الطيالس وغيرهم براويات مختلفة وطرق متنوعة يقوي بعضها بعضا

فهـذا أميـن الوحـي جـبريل عليه السلام خشـي أن تـدرك عـدو الله رحمـة الله التـي وسـعت كـل شـيء فتنجيه ويكـون سـبباً لـنجاته فـي الآخـرة فهـذه نهايـة كـل جـبار تطـاول علـي الـذات العلـية ونازعـه فـي كـبريائه فـباء بالخسـران فـي الدنـيا ونـار الجحـيم فـي الآخـرة فاسـتحق فـرعون العـذاب فـي نـار جهـنم وكـان مـن المبشـرين بالـنار ونجّـا الله نبـيه موسـى عليه السلام هـو ومـن آمـن معـه فهـل لـنا فـي ذلك عبرة وعظة.

قـارون

أن قـارون كـان رجـلاً مـن بنـي إسـرائيل أتـاه الله بسـطة فـي الـرزق وأدر علـيه إخـلاف الـثراء حـتى أن مفاتـيح خزائـنه تـنوء بالعصـبة أو لـي القـوة وقـيل أن هـذه المفاتـيح لـثقلها لا يقـوى علـي حملهـا عشـرة مـن الـرجال الأقويـاء لذلـك كـان مـرموقاً مـن قومـه بعيـن الغـبطة فكـل مـن كـان يـراه فـي زينـته وأبهـته يتمني أن يـرزق مـثل مـا رزقـه مـن الحـظ فـي الدنـيا ويسـتعظمون ذلك أيما استعظام.

ولكـن أولـو البصـائر مـن قـوم قـارون كـانوا يعظونـه ويـبذلون لـه النصـح ويحذرونـه عاقـبة مـا هـو علـيه مـن الخـيلاء والـزهو ويشـيرون علـيه بالابـتعاد عـن سـوء اسـتخدام نعمـة الله بالإفسـاد فـي الأرض ويحضـونه علـي أن يبتغي فيما أتاه الله الدار الآخرة ولا ينسي نصيبه من الدنيا.

وهـذه هـي نصـيحة أولـي البصـائر التـي يـنورها الإيمـان بـالله عـز وجـل وقدمـوا لقـارون نصـيحة غالـية ليـته أخـذ بهـا أو تـنفع بهـا لمـا فـيها مـن الـتوازن بيـن مطالـب الدنـيا والآخـرة بـأن يظهـر علـيه أثـر معـرفة نعمـة الله بالإحسـان إلـي الفقـراء مـن عـباد الله كمـا يظهـر أثـرها علـيه فـي تـناول المـباحات مـن اللذائـذ وألا يسـتعمل نعمـة الله فـي طـرق الإفسـاد فـي الأرض لأن ذلـك يغضـب الله تعالـي ولأن مجـاورة نعمـة الله بالإفسـاد فـي الأرض تدعـوا إلـي أن يغـير الله تلـك الـنعمة ولأن قـارون أعطـاهم أذنـا صـماء ولـم يصـغ إلـي نصـائحهم وأغلـق قلـبه وعقلـه ورد بغلظـة وقلـب خالـي مـن الإيمـان قـائلاً إنمـا آتيـته عـل علـم عـندي ذاهـلاً عـن أن فضـته وذهـبه لـن يغنـيا عـنه مـن الله شـيئا لآن الله تعالي قد أهلك من القرون من هم أشد منه قوة وأكثر جمعاً .

فمـا أغنـي عـنهم جمعهـم ومـا كـانوا يعـتزون بــه مـن مــال ونشـب ولـم يفلـتوا مـن عـذاب الله تعالـي فكـان مـن أحـداث الـزمان أنــه خـرج علـي قومـه فـي زينـته فقـال المولعـون بالدنـيا الذيـن يذهلهـم زخـرفها يـا ليـت لـنا مـثل مـا أوتـي قارون إنه لذو حظ عظيم.

حديث القرآن الكريم عن قارون

يقول الحق :

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ
إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ
ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ
عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ
هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا
يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا
يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ
مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ
ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ
لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ
لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]

1- سورة القصص ٧٦:٨٢

إن الواقف علي معاني هذه الآيات الكريمة ليجد أن القرآن لم يحدد زمان قصة قارون ولا مكانها إنما يكتفي بأن قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم فهل وقعت هذه القصة وبنو إسرائيل وموسى في مصر قبل الخروج أم وقعت بعده في حياة موسى أم وقعت بعده في حياة موسى أم بعده إن الباحث في كتب التفاسير ليجد أن هناك روايات يقول إن قارون كان ابن عم لموسى عليه السلام .

وأن الحادث وقع في زمان موسى وتزيد بعض هذه الروايات فيذكر أن قارون آذى موسى ودبّر له مكيدة ليلصق به تهمة الفاحشة بامرأة معينة في مقابل رشوة من المال فبرأ الله نبيه وكليمه عليه السلام وأذن له في قارون فخسفت به الأرض.

ولسنا في حاجة إلي كل هذه الراويات ولا إلي تحديد الزمان والمكان فالقصة كما وردت في القرآن كافية الأداء الغرض منها في سياق السورة والتقرير القيم والقواعد التي جاءت لتقريرها ولو كان تحديد زمانها ومكانها وملابساتها يزيد في دلالتها شيئاً ما ترك تحديدها.(1)

بشارته بالنار

إن قارون من الذين كفروا وبغوا وعصوا ذكر الله وتجبر فإنه من أصحاب النار ويجلجل فيها إلي يوم العرض علي الله بل من المخلدين فيها أبد الآبدين.

١- مرجع سابق بتصريف يسير.

هامان وزير فرعون

كان وزير سوء وبطانة ضلالة ومستشار فرعون ومعينه على الضلال ولذلك مثواه النار جزاء إعانته على الباطل وعدم إسداء النصيحة ومن أعماله المشئومة أنه هو الذي بني لفرعون بنياناً عالياً وبأن أمر بطبخ الطوب اللبن حتى صار حجارة متماسكة فبني هذا الصرح العالي لكي يصعد إلي السماء ويطلع إلي إله موسى وقد صور لنا القرآن الكريم هذا الموقف في غاية الدقة فقال الحق تعالي:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾(١)

لم يذكر لنا التاريخ الكثير عن هامان وزير فرعون بيد أن القرآن الكريم ذكر لنا صنيع هامان بأنه كان وزير شؤم وصديق سوء فاستحق هذا الجزاء الأثيم.(٢)

قتلي المشركين

ويشملون قتلي بدر وكان عددهم سبعين قتيلاً وأولهم الأسود بن عبد الأسد أول قتيل في بدر حينما أراد أن يهدم بئر بدر الذي حفره المسلمون فقتله سيدنا حمزة بن عبد المطلب.(٣)

١- سورة غافر ٣٧-٣٧
٢- الدين والحياة نشرات نوعية تصدر عن وزارة الأوقاف ص ١١١
٣- سيرة ابن هشام جـ٢ ص ١١٤

قد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فانفجر فتركوه مكانه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة فلما ألقاهم في القليب وقف عليهم رسول الله ﷺ فقال يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً فقال له أصحابه يا رسول الله أتكلم قوماً موتى فقال لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً من العذاب والسعير الذي ينتظرهم وسيخلدون فيه وكذلك قتلى أحد من المشركين وقتلى الغزوات جميعها من المشركين الذين ماتوا على الشرك إلى يوم القيامة[1] وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]

١- الروض الأنف في تفسير السيرة للإمام السهيلي جـ١ صفحة ٥٠

٢- سورة البقرة ٢٤

عمرو بن لحي

هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عامر بن ماء السماء الخزاعي وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة علي البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسو في موسم الحج فربما نحر في موسم الحج عشرة آلاف بدنه (البدنه لفظ يطلق علي الذكر والأنثى من الإبل).

وكسا عشرة آلاف حلة حتى أنه ليقال أنه اللآت الذي يلت السويق (وهو طعام يصنع من الحنطة والشعير المدقوق) للحجيج علي صخرة معروفة تسمي صخرة اللآت ودام أمره وولده علي هذا ثلاثمائة سنة وهو أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس علي عبادتها وقصة ذلك أن عمرو بن لحَي خرج من مكة إلي الشام في بعض أموره فلما قدم مكان يسمي مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون قالوا له هذه أصنام نعبدها فنستمطرها (أي نطلب المطر منها) فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم ألا تعطوني منها صنما فأسير به إلي أرض العرب فيعبدوه فأعطوه صنماً يقال له هُبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه وكان ذلك أصل عبادة الأصنام في الحجاز وانتشرت بذلك عبادة الأصنام في العرب.[1]

ولأنه أيضاً أول من سيب السائبة والسائبة هي الناقة إذا أنجبت عشر إناث ليس بينهن ذكر سيب فلا يركب ظهرها ولا يُجني وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ثم خلي سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف لما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة.

١- السيرة النبوية ابن هشام جـ١ صفحة ٦٣ ط دار التراث العربي بتصريف يسير.

وأي عقل أو عاقل يُقبل علي هذا الصنيع الذي ليس فيه أي فائدة تعود بالنفع علي بني الإنسان اللهم إلا تحريم ما احل الله لعباده.

وأما الواصيلة هي الشاة إذا أتمت (اي جاءت باثنين في بطن واحد) فاتمت عشر إناث متبعات في خمسة أبطن وليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور هم دون إناثهم إلا أن يموت منها شيء فيشتركوا في أكله ذكورهم وإناثهم.

ومن الجدير بالذكر أن ما قام به عمرو بن لحي من اجل الأصنام وأبتدع هذه الأشياء من وحي الشيطان[1] ، ولذلك القرآن الكريم حرم هذه الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان فقال تعالي:

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[2]

وهكذا بين القرآن الكريم عوج وبطلان هذا الصنع فاستحق صاحبه العذاب الشنيع.

وهو أول من غير دين إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام وكانت التلبية في عهد إبراهيم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحي فغير هذه التلبية فقيل فيما هو يلبي تمثل له الشيطان لعنه الله في صورة شيخ كبير السن يلبي معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال الشيخ إلا شريكاً هو لك فأنكر ذلك عمرو وقال ما هذا قال الشيخ قل تملكه وما ملك فإنه لا بأس بهذا فقالها عمرو فدانت بها العرب ورددوها من ورائه وبهذا فكان عمرو أول من غير التلبية وأشرك بها فتحمل وزرها.[3]

١- الروض الألف في تفسير السيرة لابن هشام للإمام السهيلي جـ١ صفحة ١٠٢ مؤسسة مختار
٢- سورة المائدة ١٠٣
٣- الروض الألف في مرجع سابق

بشارته بالنار

وقد لخصت السنة كل هذه الأمور في هذا الحديث الذي رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبة في النار فما رأيت رجلاً أشبه برجل به منك ولا به منك فقال أكثم تخشى أن يضرني شبهه يا رسول الله؟

فقال رسول الله ﷺ لا إنك مؤمن وهو كافر إنه أول من غير دين إبراهيم وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمي الحامي.[1]

بهذه الآثام التي أرتكبها عمرو استحق العذاب في النار والخلود في نار الجحيم والعياذ بالله وليس هذا فقط بل عليه وزر من عمل بعمله وأمتثل بأمره ولذا يقول الرسول ﷺ من سن سنة خير فاتبع عليها فله أجره ومثل أجور من أتبعه غير منقوص من أجورهم شيئاً.[2]

١- رواه ابن جرير من طريق يونس بن بكير وتفرد به البخاري وفيه رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ما برواية عائشة رضي الله عنها.

٢- رواه مسلم في كتاب الزكاة العلم من صحيحه عن جرير بن عبد الله الاعتصام للإمام الشاطبي جـ١ صفحة ٧٠ طـ دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ميدان المشهد الحسيني رضي الله عنه.

ابو لهب

هو عبد العزى بن عبد المطلب أحد أعمام النبي ﷺ وكنيته أبو محمد عتبة. كان كثير الأذى لرسول الله ﷺ وكان يقوم بتحريض الكفار عليه وعاند رسول الله وتروي كتب السير ما جاء[1] في الصحيح من رواية مجاهد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما أنزل الله عز وجل قوله تعالى:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾

خرج رسول الله ﷺ حتى أتي الصفا فصعد عليه فقال أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً قط قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال له أبو لهب ألهذا جمعتنا تباً لك ومعني تباً لك دعاء بالهلاك والخسارة وكان لعنه الله يتهكم من الرسول ﷺ ويقول يعدني محمداً أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت فماذا وضع في يدي بعد ذلك ثم ينفخ في يديه ويقول تبا لكما ما أري فيكما شيئاً مما يقول محمد فأنزل الله تعالى:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾[2]

روي الإمام أحمد بن حنبل عن أبي الزناد عن ربيعه بن عباد وكان جاهلياً فأسلم قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.

١- سيرة ابن هشام جـ١ صفحة ٦٥ أخرجه البخاري في صحيحه
٢- سورة المسد

والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل أحول وضئ الوجه ذو غديرتان يقول إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب.[1] معني هذا أن الرجل أوغل في العناد والرد في الكفر والعصيان والجحود والنكران وإن الناظر في سورة المسد ليجد أنها تشتمل علي معجزة ظاهرة ودليل واضح علي النبوة فإنه منذ نزل قول الحق تعالي:

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝ ﴾

فأخبر الحق عنهم بالشقاء وعدم الإيمان لم يقض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنا ولا ظاهراً ولا سراً ولا علناً فكان هذا من أقوي الأدلة الباهرة علي النبوة الظاهرة.[2] من أجل هذا وغيره بشره الله عز وجل بالنار في الآخرة والذل والخذلان في الدنيا.

١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده

٢- مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني جـ٣ ط دار التراث العربي

النهاية هلاكه لعنه الله

أخرج ابن إسحاق وابن سعد وابن جرير عن أبو رافع قال كُنا آل العباس قد دخلنا الإسلام وكنا نستخفي بإسلامنا وكنت غلاماً للعباس فلما صارت قريش إلي رسول الله ﷺ يوم بدر جعلنا نتوقع الأخبار فقدم علينا الجسيمان الخزاعي بالخبر فوجدنا في أنفسنا قوة وسرنا ما جاءنا من الخبر من ظهور رسول الله ﷺ فو الله إني لجالس في صفه زمزم وعندي أم الفضل إذا أقبل الخبيث أبو لهب بشر يجر رجليه قد كبته الله وأخزاه لما جاء من الخير حتى جلس علي طنب الحجرة (أي حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد).

فقال له الناس هذا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم واجتمع عليه الناس فقال أبو لهب هلم إليّ فعندك الخبر.

فجاء حتى جلس فقال والله ما هو إلا أن لقين القوم فمنحناهم اكتافنا يضعون السلاح فينا حيث شاءوا ووالله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالاً بيضاً علي خيل بلق معني بلق (هو ما كان فيه بياض وسواد) لا والله ما تبقي شيئاً قال أبو رافع روي هذا الخبر فرفعت طنب الحجرة فقلت تلك والله الملائكة وقام أبو لهب يجر رجليه ذليلاً ورماه الله بالعدسة فو الله ما مكث إلا سبعاً حتى مات فلقد تركه أبناؤه في بيته ثلاثاً ما يدفناه حتى أنتن.

وكانت قريش تتقي العدسة كما تتقي الطاعون قال لهما رجل من قريش ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفنانه فقال إنما نخشى عدوي هذه القرحة فقال انطلقا فأنا أعينكما عليه فو الله ما غسلوه

إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ثم احتملوه إلي أعلي مكة فاسندوه إلي جدار ثم ردموا عليه بالحجارة.

هذه هي نهاية هذا الجبار العنيد الذي كان كثيراً ما يؤذي رسول الله ﷺ ويسطو علي ضعاف المسلمين.[1]

١- الخصائص الكبرى للسيوطي جـ١ صفحة ٥١٧

أبو جهل

نسبه

هو عمرو بن هشام:

هذا الرجل لعنه الله كثيراً ما أذى رسول الله ﷺ وكثيراً ما تمادى في كفره وطغيانه وإليك أيها القارئ الكريم بعض النماذج التي توضح غلوه في الكفر والطغيان.

ذات يوم ورسول الله ﷺ جالساً بين زعماء قريش يدعوهم إلى الإسلام ويعرضه عليهم لعله يجد منهم قبولاً وجد قلوباً أشدُّ من الصخر صلابة وأشد من الحجر قسوة فانصرف عنهم وهو حزيناً أسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه ولما رأي من مباعدتهم إياه.[1]

النموذج الاول

فقام فرعون هذه الأمة أبو جهل قائلاً يا معشر قريش إن محمداً قد أبي ألا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بَحجر ما أطيق حمله فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل لعنه الله أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره وغدا رسول الله كما كان يغدوا وكان يصلي بمكة وقبلته إلي الشام فكان إذا صلى صلي بين الركن اليماني والحجر الأسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله ﷺ يصلي وغدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر.[2]

١- سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣٤.
٢- نفس المرجع مع تصريف يسير .

ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتفخا لونه مرعوباً قد يبش يداه علي حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجال قريش فقالوا له مالك يا أبا الحكم؟ قال قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهم بي أن يأكلني[1]

وروي كذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه نقص علي عقبيه فقالوا مالك فقال لعنه الله لقد رأيت بيني وبينه لخندقا من نار وهولاً واجنحة فقال رسول الله ﷺ لو دنا لاختطفته الملائكة عضواً عضواً.[2]

فهذا الحدث الخطير الذي أراد أن ينفذه عدو الله لو قدر له النجاح لكان فيه نهاية المعصوم ﷺ ولكن الله سلم فكان عدائه لرسول الله ﷺ عداء دفيناً يستحق اللعنه عليه إلي يوم الدين.

ومما كان من أمره لعنه الله كان كثير الأذى لرسول الله ﷺ فيقول ابن إسحاق فيما يروي عن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي قال قدم رجل من أراش بابل له مكة فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها (أي أن الرجل القادم إلي مكة بابله فباعها لأبي جهل وكان من المروءة والعدالة أن يقوم أبو جهل بدفع ثمنها إلي صاحبها ولكنه متى توجد المروءة والعدالة عند كافر، فماذا يصنع الرجل وقد اجتمع عليه غربته وضياع ماله فماذا يصنع أقبل علي القوم حتى وقف علي ناد قريش ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس فقال يا معشر قريش! هل من رجل يؤديني حقي؟ (أي من يساعدني علي استرداد حقي؟) علي أبي الحكم بن هشام فإني رجل غريب ابن سبيل وقد غلبني علي حقي فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس لرسول الله ﷺ.

١- السيرة ابن هشام جـ٢ صفحة ٣١
٢- هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما

وهم يهزءون بـه لمـا يعلمـون مـا بينـه وبيـن أبـي جهـل مـن العـداوة إذهـب إلـيه فإنـه يؤديـك علـيه فاقـبل الـرجل حـتى وقـف علـي رسـول الله ﷺ فقـال يـا عبد الله إن أبـا الحكم بن هشـام قد غلبني علي حق لي قبله وأنـا رجل غريـب بـن سـبيل وقد سـألت هـؤلاء القـوم عن رجـل يؤدني عليه يـأخذ لي حقي فأشاروا لي إليك فخذ لي حقي منه يرحمك فقام معه الرسول ﷺ.(١)

فلمـا رأوه قـام معـه قـالوا لـرجل مـنهم ممـن معهـم اتـبعه فانظـر مـاذا يصـنع وخـرج رسـول الله ﷺ حـتى جـاءه فضـرب علـيه بابـه فقـال مـن هـذا؟ قـال محمـد فأخرج إلـيَّ فخـرج إلـيه ومـا فـي وجهـه مـن رائحـة أي لـيس فـي وجهـه قطـرة دم مـن فـزعه ورعبه، قد انـتقع لونـه فقـال أعـط هـذا الـرجل حقـه قـال نعم لا تـبرح حـتى أعطيه الـذي لــه فدخل فخـرج إلـيه بحقـه فـد فعـه إلـيه ثـم أنصـرف رسـول الله ﷺ وقـال للأراشـي الحـق بشـأنك فاقـبل الأراشـي حـتى وقـف علـي ذلـك المجلـس فقـال جـزاه الله خـيراً فقـد أخـذ لـي حقـي وجـاء الـرجل الـذي بعثوا معـه فقـالوا ويحك مـاذا رأيت قـال عجبـاً مـن العجب والله مـا هـو إلا أن ضـرب علـيه بابـه فخـرج إلـيه ومـا معـه روحـه فقـال: أعـط هـذا حقـه فقـال: نعم لا تـبرح حتى أخرج إلـيه حقـه فدخل فخـرج بحقـه فأعطـاه إيـاه ثـم لـم يلبـث أبـو جهـل أن جـاء فقـالوا ويلـك؟ مـالك والله مـا رأيـنا مـثل مـا صـنعت قـط قـال: ويحكـم والله مـا هـو إلا أن ضـرب علـيَّ بابـي وسـمعت صـوته فملئـت رعـبا ثـم خرجـت إلـيه وأن فـوق رأسـه لفحـلاً مـن الإبـل مـا رأيـت مـثل هامـته ولا قصـرته ولا أنيابه لفحل قط والله لو أبيت لأكلني.(٢)

١- سرة ابن هشام صفحة ٢٠١
٢- الروض الأنف للإمام السهيلي جـ٢ صفحة ١١٥

إن أذى أبو جهل لرسول الله ﷺ يكاد لا ينتهي ولم يكن لعنه الله يجد فرصة يهزأ به إلا أغتنمها وها هو حينما يسمع ما جاء به من الحق فقال يا معشر قريش يزعم محمد إنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحسبونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة فيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم، فأنزل الله تعالي علي نبيه ﷺ قوله:

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[1]

فلما قال ذلك قال بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يستهول له.

إن عمرو بن هشام لعنه الله حينما سمع القرآن الكريم وهو يتحدث عن جنود الله في نار جهنم وعددهم تسعة عشرة لم يكن يجهل هذا الأمر ولكنه الجحود والإنكار والاستهزاء والسخرية والحقد والكراهية.

فقد ذهب إليه ذات يوم الأخنس بن شريك فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال: ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاذبنا علي الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتي ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه.[2]

ولم يقف عداء فرعون هذه الأمة علي أذى رسول الله ﷺ نفسياً ومعنوياً والمشاركة في آذى المسلمين المستضعفين بل أمتد إلي الإذاء المادي الاقتصادي فقد كان أبو جهل قد لقي حكيم بن حزام بن خويلد معه غلام يحمل قمحاً يُريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام إلي بني هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فلاحقه حتى نال أحدهما من الأخر هكذا نجد أن عدائه لم يقف عند حد من الحدود فاستحق لعنة الله في الدنيا وأحق له الخلود في نار الجحيم.[3]

١- المدثر ٣١
٢- الرحيق المختوم
٣- السيرة النبوية للابن هشام جـ١ صفحة ٢٤٠

ما نزل في القرآن الكريم في ابي جهل

يقول الحق تعالي:

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝ ﴾[1]

أسباب نزول هذه الآيات الكريمة علي سيدي الخلق ﷺ كما يرو بها السادة العلماء:

ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أخرجه عنه ابن جرير قال كان رسول الله ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فقال ألم أنهاك عن هذا فزجره النبي ﷺ فقال أبو جهل إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله فليدع نادية سندع الزبانية ونزل قوله قبل ذلك أرايت الذي ينهي عبداً إذا صلي.[2]

ويقول الحق في موضع أخر:

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[3]

١- سورة العلق ٩:١٩

٢- أسباب النزول للإمام السيوطي صفحة ٧١٥ بزيل تفسير الجلالين.

٣- المدثر ٣١

بداية النهاية

الزمان ليلة الجمعة السابع عاشر من رمضان السنة الثانية من الهجرة النبوية المكان (بدر) وادي بدر الحدث غزوة بدر الكبرى.

لقد كان أبو جهل لعنه الله نصيراً للباطل إن لم يكن من أشد أنصاره وأعوانه فهو الذي قاد هذه المعركة وأرغم بعض الذين خرجوا معه على الحرب ولا يدري أو دار بخلده ساعتئذ أنه يسير بخطى متوا ثبه إلي نهايته ليلقي حتفه هناك وكم واتته الفرصة تلوا الآخرة من أجل أن يرجع ويلملم أدراجه ولكنه حان وقت القصاص فها هو حكيم بن حزام ومن معه يطلب من القوم الرجوع من حيث جاءوا فأبي ذلك أبو جهل أخا عمرو بن الحضرمي أن يطلب دم أخيه عمرو فكشف عن آسته وصرخ وقال واعمراه فحمي القوم ونشبت الحرب.[1]

وقد استفتح عدو الله ورسوله أبو جهل قائلاً: اللهم أقطعنا للرحم وأتانا مما لا نعرفه فأحنه الغداة اللهم آينا كان أحب إليك وأرضي عندك فانصره اليوم فانزل الله عز وجل قوله:

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾

جاءت لحظة النهاية حيث تربص به غلامين أبناء عفراء فضرباه فأشخناه فبرك كالثور يخور وبعدها ولي القوم منهزمين قال رسول الله ﷺ ومن ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فوجده في الرمق الأخير فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل فقال لمن الدائرة اليوم يا روعي الغنم ومعناها تصغير كلمة راعي فقال لله ورسوله يا عدو الله فقال لقد ارتقيتم مرتقي صعباً فأحذ رأسه وجاء بها إلي النبي ﷺ.

---

١. السيرة النبوية للابن هشام جـ١ صفحة ٩٥ جـ٢ صفحة ١١٥

فقال قتلته يا رسول الله فقال الله الذي لا إله إلا هو فرددها ثلاث ثم قال الله أكبر الحمد الله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده انطلق أرينه فانطلقنا فأريته إياه فقال هذا فرعون هذه الأمة[1]

هكذا كانت نهاية الظلم والطغيان فطالما هذه الرأس سخرت من رسول الله ﷺ وعمل علي إيذائه وشارك في إيذاء الكثير من المسلمين ولم يترك سبيلاً ولا طريقاً في الصد عن سبيل الله إلا اتبعه وسار فيه فكانت هذه النهاية لهذا لطاغية ونهاية كل طاغية تجبر وطغي وبغى عبر الزمان والمكان مستحق بعدل أن يكون من أصحاب النار.

١- زاد المعاد في هدي خير العباد للابن القيم الجوزية جـ٢ صفحة ٨٩

النمرود

تشعرنا قصة الخليل إبراهيم عليه السلام مع النمرود لعنه الله أن هؤلاء القوم كانوا يعبدون ملوكهم مع آلهتهم يدل علي ذلك المحاجة التي كانت بين إبراهيم وبين هذا الملك فأحب الملك أن يرجع إبراهيم عن دعوته الجديدة المخالفة لنحلة قومه وأن يعبده وآلهته وقد قص القرآن[1] علينا ذلك ليكون لنا فيه عبرة وعظة فيقول الحق:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[2]

قال السادة المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار أن هذا الملك الجبار المتمرد الذي أدعى لنفسه الربوبية وكان أحد ملوك الدنيا فإنه ملك الدنيا فيما يذكر المؤرخون أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان ذو القرنين ونبي الله سليمان عليه السلام والكافران هما النمرود وبختنصر.[3]

وأما النمرود أو النمروذ من الملوك الكافرين الذين ملكوا الدنيا واستمر ملكه حوالي أربعمائة سنة فطغي وبغي وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا ولما دعاه إبراهيم الخليل إلي عبادة الله وحده لا شريك له فحمله الجهل والضلال وطول الآمال علي إنكار الصانع فحاج إبراهيم في ذلك وادعي لنفسه الربوبية فلما قال له الخليل ربي الذي يُحي ويميت قال هذا لملك المتجبر أنا أحي وأميت.

١- قصص الأنبياء أ.د/ عبد الوهاب النجار أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين صفحة ١٠٦ دار التراث العربية.

٢- سورة البقرة ٢٥٨

٣- تاريخ ابن عساكر جـ٢ صفحة ١٤٦ تهذيب التهذيب

فأتى برجلين قد تحتم قتلهما فأمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فتصور بتخيله المريض وبعقله الكليل أنه أحيا هذا وأمات الأخر وليس هذا ما أرادهُ الخليل ﷺ . وكان الخليل ﷺ أراد أن يوضح له ولمن حوله أمراً في غاية الأهمية قائلاً له فإن كنت لما زعمت من أنك الذي تحيُ وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب فإن الذي يحي ويميتُ هو الذي يفعل ما يشاء ولا يُمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء ودان له كل شيء فإن كنت كما تزعم فافعل هذا فإن لم تفعله فلست كما زعمت وأنت تعلم أنك لا تقدر علي شيء من هذا بل أنت أعجز وأقل من أن تخلق بعوضة أو تنتصر منها.

فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبين له ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلانه ما سلكه وتبجح به عند جهله قومه ولم يبق له كلام يجيب الخليل به وسبحان الله العلي القدير فقد سلط عليه جند من جنده التي لا تعد ولا تُحصى بان دخلت بعوضة صغيرة في أنفه فلم يستطيع الأطباء إخراجها ونصحوه بان العلاج الوحيد هو أن يُضرب رأسه حتى يستريح وضاع النوم من عينه وظل علي هذه الحالة حتى مات وجعل الله عز وجل جزائه النار لتكبره وعدم إيمانه.[1]

سبحان الله عزت قدرته أعطاه الله المُلك والجاه والسلطان والمال والصحة والعافية فبدل من أن يشكر خالقه علي هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى نسي نفسه وأصل خلقته انه خُلق من طين ومن ماء مهين ولكنه طغي وبغي وأدعى لنفسه ما ليس له ولا لغيره فأدعى الألوهية فقسمه الله وأرسل إليه أضعف جنده بعوضة صغيرة فجعلت هذه البعوضة من زعم يوما أنه إله معبود من دون الله تُضرب رأسه من أجل أن يُسكن مرضه وأصبح بين الناس عبرة وعظة لأنه تطاول علي خالق الخلق والملكوت فمات بسبب بعوضة فكان من أصحاب النار وبئس المصير.

١- المبشرون بالجنة والمبشرون بالنار طه عبد الرؤوف سعد صفحة ٥٤ العلم للتراث الإسلامي بالحسن ١٩٩٨

خاتمة

الحمد الله وكفي وسلام علي عباده الذين أصطفي

كما بدأنا بالحمد نختم بالحمد فلله الحمد في الأولي والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

وبعد،،

فهنا سكت القلم عن الكتابة وكف اللسان عن البيان فكان خاتمة الكتاب والحمد الله علي ما أنعم به من آلائه العظيمة وأفضاله الجسيمة إنه هو العزيز الوهاب.

وإن كان بقي شيء نقوله فهو الاعتراف بالنقص الذي يعتري جملة البشر فالكمال لله سبحانه وحده فمن وجد في الكتاب نقصاً وتقصيراً فليعلم أنه شيء لابد منه وأنه من نفسي ومن الشيطان ومن وجد فيه ما ينفعه فلا ينسنا من دعائه.

لعل هذا يجبر تقصيرنا
إنه سميع مجيب الدعاء

أهم المراجع

القرآن الكريم	
الرياض (النضرة)	
صفة الصفوة	
حياة الصحابة	يوسف الكندلهوي
الإصابة	يوسف الكندلهوي
حلية الأولياء	لأبي نعيم
طبقات بن سعد	ابن سعد
معجم البلدان	الحموي
تهذيب التهذيب	ابن حجر
الكامل لأبن الأثير	الامام ابن الأثير
الدر في اختصار المغازي	الامام ابن الأثير
السيرة لأبن هشام	ابن هشام
الجرح والتعديل	ابن حجر
تاريخ الإسلام للذهبي	الامام الذهبي
تاريخ دمشق لابن عساكر	ابن عساكر
شذرات الذهب	ابن عساكر
البداية والنهاية	ابن كثير
تاريخ خليفة بن خياطي	خليفة بن خياطي
أسد الغابة	ابن الأثير
صحيح البخاري جـ١ رقم ٣٩٨٢ بحاشيته السندي	الامام البخاري

زاد المعاد في هدي خير العباد	ابن القيم
زوجات النبي ﷺ وأسرار الحكمة في تعددهن	ابن القيم
الروض الأنف للإمام السهيلي	الإمام السهيلي
المبسط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين	الإمام السهيلي
تفسير ابن كثير	ابن كثير
الجامع الصغير للسيوطي	الإمام السيوطي
تاريخ ابن الأثير	ابن الأثير
كتب العهد القديم والعهد الجديد	ابن الأثير
الفارق بين الخالق والمخلوق	الإمام الباجي
دائرة المعارف	للبستاني جـ١
الفتح الكبير	الشوكاني
تقريب التهذيب	ابن حجر جـ٢
المغني في الضعفاء	ابن حجر جـ٢
المبشرون بالجنة	طه عبد الرؤوف
قصص الأنبياء	ابن كثير
الترغيب والترهيب	المنذري جـ٣
قصص الأنبياء	أ.د/ عبد الوهاب النجار
تفسير المنار	الشيخ رشيد رضا

تابع المراجع

تفسير الطبري	الإمام الطبري
تفسير البيضاوي	الإمام البيضاوي
النهاية	ابن الأثير
فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج	المونسيفور لويس
روح المعاني	الإمام محمود الألوسي
مفاتيح الغيب	الإمام الفخر الرازي
إظهار الحق	رحمة الله الهندي
فرعون موسى قصة الولادة والرسالة والخروج	أحمد يوسف احمد أفندي
مختصر تفسير ابن كثير	د/ محمد علي الصابوني
الخصائص الكبرى	الإمام السيوطي
أسباب النزول	الإمام السيوطي
زاد المعاد في هدي خير العباد	ابن القيم الجوزية
الطب النبوي	ابن القيم لاجوزي

كتب الحديث

مسند	الإمام أحمد
صحيح	مسلم
سنن	أبي داود

باقي المسانيد (الترمزي البيهقي وغيره)

وهناك بعض المراجع التي ذكرت في الهامش ولم نعول عليها لأنها ذكرت في حينها.

الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس